الإيمان عند السلف ومخالفيهم

لفضيلة الدكتور علي بن عبد العزيز بن علي الشبل (١)

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، القائل في محكم التنزيل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٣٦].

وصلى الله على عبده ورسوله نبينا محمد، الذي آمن بالله حق الإيمان، وأوضح لأمته طريق الإيمان، فتركهم على محجة بيضاء واضحة لا يزيغ عنها إلا هالك، فصلى الله وسلم عليه تسليماً كثيراً.

أما بعد:

فإن البحث في مسائل الإيمان، والتي هي مسائل الأسماء والأحكام، من أهم مسائل الدين، ومن نعمة الله عليَّ أن سخر لي الكتابة في هذا الموضوع؛ لما له من أهمية وفائدة علمية دينية تتعلق بالعقيدة نحتاج إلى بيانها وتجليتها، لا سيما في هذا الزمان الذي راجت فيه سوق الأهواء والبدع، وتنوعت الانحرافات في العقيدة وخصوصاً باب الإيمان، وتجدد

(١) أستاذ مشارك بجامعة المجمعة- وزارة التعليم العالي.

ظهور المرجئة والوعيدية في صور شتى، وقد أشار العلماء إلى أهمية تحقيق الإيمان، والبحث في أهم مسائله، وما حصل لبعض أهل السنة والجماعة من خطأ في بعض مسائله.

منهج البحث وخطتُه:

اعتمدت خُطّةً مضيت عليها لكتابة هذا الموضوع جريًا على عادة البحوث العلمية.

وكانت هذه الخطة على النحو التالي:

مقدمة: وذكرت فيها سبب اختيار الموضوع والمنهج الذي سرت فيه.

بعد حمد الله والثناء عليه والصلاة والسلام على رسوله الأمين.

ثم تمهيد: ويشمل عدة أمور:

أولاً: منهج السلف في العقيدة، وخاصة الإيمان والأسماء والصفات.

ثانيًا: نبذة عن نشأة وتاريخ الخوارج.

ثالثًا: نبذة عن نشأة المعتزلة.

رابعًا: نبذة عن نشأة المرجئة، والطوائف التي صاحبت نشأة كلّ فرقة من هذه الفرق.

ثم جاء الفصل الأول وهو: «الأقوال في الإيمان»، وفيه مبحثان هي:

المبحث الأول: عن مذهب السلف في الإيمان والأدلة له وفيه مسألتان:

أولاً: أركان الإيمان عند المسلمين وأدلتها.

ثانيـًا: عقيدة السـلف في كون الإيمان قولاً واعتقاداً وعملاً، وأدلة ذلك من الكتاب والسنة.

ثم المبحث الثاني: وكان في «أقوال الناس في تعريف الإيمان» وهم سبعة طوائف.

وبذلك انتهى الفصل الأول، ثم جاء:

الفصـل الثـاني: وهو أهم أبـواب البحـث؛ إذ هو بيت القصيـدة، وكان بعنوان: «دخول الأعمال في تعريف الإيمان» وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: في الأقوال في المسألة، وأدلة كلّ قول إجمالاً.

المبحث الثاني: فيه مناقشة أهم أدلة كل قول، وبيان القول الصائب منها.

المبحـث الثالث: في مسـألة الخلاف بين مرجئـة الفقهاء وجمهور أهل السنة والجماعة هل هو لفظي صوري أو حقيقي؟!

ثـم ختمـت البحث بذكر قائمـة ما ذكرته في البحث، أتيـت فيها على ما قررتـه، جاعلـه مختصراً جداً مشـيراً على عقيـدة أهل السـنة والجماعة إلى الرأي الراجح في المسائل التي مررت عليها.

وبعـد: فالمرغوب إلى من يقف على هذا البحث أن يعذر صاحبه، حيث علَّقه في ضيق من الوقت، وانشـغال في الخاطر، مع بضاعته المُزجاة، وها هو قد نصب نفسـه هدفـًا لسـهام الراشـقين، وغرضـًا لأسِـنَّة الطَّاعنين، فلقارئه غُنمه، وعلى مُعلقِه غُرمه، والله يغفر له ذلك .

وهـذه بضاعتـه تُعرض عليك، ومولَيّتُه تُهـدى إليك، فإن صادفت كفؤاً

كريمـاً لها، فلـن تعدم منـه إمسـاكاً بمعروف، أو تسـريحاً بإحسـان، وإن صادفت غيره، فالله تعالى المستعان، وعليه التكلان .

وقـد رضـي من مهرهـا بدعوةٍ خالصـةٍ في ظهر غيـب، إن وافقت قبولاً واستحسانـاً، وبرد جميل إن كان حظُّها احتقاراً واستهجانـاً.

والمنصف يهب خطأ المخطئ لإصابته، وسيئاته لحسناته، فهذه سنة الله في عباده جزاءً وثوابـاً.

ومن ذا الذي يكون قوله كله سديداً، وعمله كله صوابـاً؟ وهل ذلك إلا المعصـوم الذي لا ينطق عن الهـوى، ونطقه وحيٌ يُوحى؟ فما صحّ عنه فهو نقل مُصَدَّقٌ عن قائل معصوم، وما جاء عن غيره، فثبوت الأمرين فيه معدوم، فـإن صـحّ النقل لم يكن القائل معصومـاً، وإن لم يصـحّ لم يكن وصوله إليه معلومـاً[1].

ومـا كان فيهـا مـن حق وصواب فليس مـن جَهدِي، وإنمـا بتوفيق ربي وهدايته؛ فله الحمد والثناء على ذلك.

---

(١) تضمين من آخر مقدمة ابن القيم «روضة المحبين» ٢٨.

منهج السلف- أهل السنة والجماعة - في العقيدة.

كان الرعيل الأول من الصَّحابة في زمن النبي ﷺ ينهلون من ينابيع النبوة، ويتعلمون في المدرسة النبوية، ويتلقون الدين والتنزيل غضاً طرياً ليست فيه شائبة، ففهموه الفهم الصَّحيح، وما أشكل عليهم سألوا عنه النبي ﷺ.

ومع ذلك كانوا يعملون بما يعلمونه من الأوامر والنواهي، فتعلموا القرآن وعملوا به، فأدركوا العلم والعمل، كما ثبت ذلك في الصَّحيح من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

فخلصت بذلك سرائرهم، واستقامت على ذلك نفوسهم، فطهُرت من المعاصي جوارحهم، وكملت قلوبهم وعقائدهم، وما هذا إلا بسبب تبليغ النبي ﷺ لهذا الدِّين أحسن التبليغ، وإيضاحه الحجة، وإقامته للمحجّة، فتركهم ﷺ على المحجة البيضاء، ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك.

فمات ﷺ وهم من أكمل الناس إيماناً وعلماً وتقى وورعاً، أمورهم متفقة وجماعتهم واحدة. فكانوا على ذلك في عهد الشيخين وصدر من خلافة ذي النورين عثمان بن عفان رضي الله عنهم.

ثم أتت الفتن متلاحقة كقطع اللَّيل المظلم، فقتل فيها عثمان، وبدأت البدعة تظهر على الساحة.

وما كان علي بن أبي طالب أحسن حظاً من سابقه، فشغلته الفتن رضي الله تعالى عنهم أجمعين.

فظهرت بدعة الخوارج – وهي أول بدعةٍ ظهرت في الإسلام – وتبعها

بدعة الرّفض والتّشيع، وكان ذلك من إحداث اليهودي عبد الله بن سبأ الصنعاني رأس الفتنة وموقدها، لعنه الله، ولعن أتباعه وأعوانه ومؤيّديه.

فلما نشأ مذهب الخوارج، وقع الكلام في باب الإيمان وأثر الذنوب، حتى افترق الناس بسبب قولهم، وظهرت المرجئة والمعتزلة، وهكذا توالت الطوائف المبتدعة، كل بدعة وليدةُ البدعة كسابقتها، حتى انتشرت البدع والأقوال الباطلة في العالم الإسلامي.

كان الصحابة والتابعون ومن تبعهم من أهل القرون المفضلة يؤمنون بالله تعالى حقّ الإيمان، فعرفوا حقيقة الإيمان، وكانوا يرون أن الإيمان قول واعتقاد وعمل، يزيد وينقص، ويزول بزوال أصلٍ من أصوله. وكانوا يرون أن الأعمال داخلة في مسمى الإيمان، وغيرها من مسائل الإيمان.

كما حكاه عنهم غير واحد كالشافعي، فقد حكى إجماعهم على كون الإيمان قولاً وعملاً واعتقاداً يزيد وينقص، ودخول الأعمال في الإيمان.

وعلى هذا المنهج سار أهل القرون المفضلة، وهو الذي عرف بعد ذلك بمنهج أهل السنة والجماعة في باب الإيمان، وهو باقٍ فيمن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين بإذن الله تعالى.

قال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله (ت ٢٤١هـ):

«أصول الدين عندنا: التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ والاقتداء بهم، وترك البدع وكل بدعة فهي ضلالة، وترك الخصومات والجلوس مع أصحاب الأهواء، وترك المراء والجدال والخصومات في الدين.

والسنة عندنا: آثار رسول الله ﷺ، والسنة تفسير القرآن، وهي دلائل القرآن، وليس في السنة قياس، ولا تضرب لها الأمثال، ولا تُدرك بالعقول ولا الأهواء، إنما هي الاتباع وترك الهوى»[١].

وقال أبو بكر محمد بن الحسن الآجري (ت٣٦٠هـ):

«هذه السنن كلها نؤمن بها، ولا نقول فيها: كيف؟ والذين نقلوا هذه السنن هم الذين نقلوا إلينا السنن في الطهارة وفي الصلاة وفي الزكاة، والصيام والحج والجهاد، وسائر الأحكام من الحلال والحرام، فقبِلها العلماء منهم أحسن قبول.

ولا يرد هذه السنن إلا من يذهب مذهب المعتزلة، فمن عارض فيها أو ردّها، أو قال: كيف؟ فاتهموه واحذروه...» اهـ[٢].

وقال أبو عمر بن عبد البر (ت٤٦٣هـ):

«أهل السنة مجمعون على الإقرار بالصفات، يعني صفات الله سبحانه وتعالى الواردة كلها في القرآن والسنة، والإيمان بها، وحملها على الحقيقة لا على المجاز، إلا أنهم لا يكيفون شيئاً من ذلك ولا يحدون فيه صفة محصورة.

وأما أهل البدع والجهمية والمعتزلة كلها والخوارج، فكلهم ينكرونها، ولا يُحمل شيء منها على الحقيقة، ويزعمون أن من أقرّ بها مشبه، وهم عند من أثبتها نافون للمعبود سبحانه وتعالى.

---

(١) «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» للالكائي ١/ ١٥٦-١٥٧.

(٢) «الشريعة» ص ٢٨١.

والحقّ ما قاله القائلون بما نطق به كتاب الله وسنة رسوله، وهم أئمة أهل السنة والجماعة، والحمد لله». اهـ[١].

وقال أبو قلابة[٢] (ت ١٠٤هـ):

«لا تجالس أصحاب الأهواء، فإني لا آمن عليك أن يغمسوك في ضلالتهم، ويلبسوا عليك ما كنت تعرف». اهـ[٣].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية (ت ٧٢٧هـ):

«والله يعلم أني بعد البحث التام، ومطالعة ما أمكن من كلام السلف، ما رأيت كلام أحد منهم يدل لا نصاً ولا ظاهراً ولا بقرائن على نفي الصفات الخبرية، بل الذي رأيته أنهم يثبتون صفتها في الجملة، وينفون التشبيه، وينكرون على المشبهة». اهـ[٤].

هذا وكان التوحيد عند السلف رضي الله عنهم على نوعين:

١ - توحيد المعرفة والإثبات، وهو التوحيد العلمي الخبري.

٢ - توحيد القصد والطلب، وهو التوحيد الإرادي الطلبي. وهو توحيد الألوهية أو العبادة.

---

(١) التمهيد؛ له ١/ ١٤٥.

(٢) هو عبد الله بن زيد الجرمي أبو قلابة البصري، ثقة فاضل كثير الإرسال، روى عن أنس بن مالك ومات بالشام سنة ١٠٤هـ هارباً من القضاء. انظر نبذة عنه في «التقريب» ١/ ٤١٧، و«تهذيب التهذيب» ٥/ ٢٢٤.

(٣) انظر كتاب «صون النطق والكلام» للسيوطي ص ٥٥.

(٤) «الفتوى الحموية» ص ٦٤.

فلما حصلت بدع الجهمية، وبعدها المعتزلة في باب الأسماء والصفات، انقسم توحيد المعرفة والإثبات إلى توحيد الربوبية، وتوحيد الأسماء والصفات.

- أما توحيد الألوهية فهو:

إثبات العبادة لله وحده لا شريك له، وترك الشرك، هو توحيد الله بأفعال العباد.

-وتوحيد الربوبية هو:

الإفراد والاعتراف بأن الله خالق كل شيء ومربيه، وهو توحيد الله بأفعاله سبحانه.

- وتوحيد الأسماء والصفات هو:

إثبات ذات الله سبحانه وتعالى وأسمائه وصفاته وأفعاله، وأنه ليس كمثله شيء. هو إثبات ما أثبته الله لنفسه وما أثبته له رسولهﷺ من غير تحريف ولا تعطيل ولا تأويل ولا تشبيه ولا تمثيل.

و باب الأسماء والصفات زلّت فيه أقدام أناس، وشطحت أفكارهم فيه.

ويمكن تقعيد وتأصيل منهج أهل السنة والجماعة في العقيدة عمومًا باختصار، فمنهجهم رحمهم الله يقوم على هذه الأسس:

١ - اتباع كتاب الله وسنة رسوله ﷺ في كل قضية من قضايا العقيدة، وعدم ردّ شيء منها، أو تأويله تأويلاً باطلاً.

٢- الالتـزام بما كان عليه الرسـول ﷺ في المسـائل العقديـة، وخاصةً في باب الأسماء والصفات، فنسكت عما سكت عنه، ونثبت ما أثبته لربّه عزّ وجلّ.

٣- عـدم الخـوض في الأمـور الاعتقاديـة والغيبية مما لا مجـال فيه للعقل البشري؛ بل كانوا يحذرون من هذا المسلك الرهيب المهلِك لصاحبه.

٤- التأكيد على وحدة كلمة المسـلمين، ومتابعة جماعتهم، وعدم التخلف عمّا كانوا عليه

٥- يفهمون أنّ للنصوص معاني معروفة معلومة من لغة العرب، ويفوضون علم الحقيقة والكيفية إلى الله تعالى.

٦- عـدم مجادلـة أهل الكتاب والأهواء والبدع، والنهي عن مجالسـة أهل البدع والأهواء، أو اسـتماع شبههم. إلا في حالة الردّ عليهم، والدفاع عن العقيدة الإسلامية، وأهل هذا الشأن هم العلماء المختصون به.

٧- أن مـا حصـل من انحـراف في هذه الأمة، إنما هو بسـبب الإعراض عن وحـي الله تعالى إلـى المناهج البشـرية وزبالات أفهامهم، كالفلسـفات اليونانية المنحرفة، ونواتج العقول الضالة.

نبذة عن نشأة الخوارج

وهـم الذيـن خرجوا على أميـر المؤمنين عثمان ثم علـي بن أبي طالب رضي الله عنهما.

• يقول الشهرستاني[1] عن الخوارج هم:

---

(١) هـو أبو الفتح محمد بن عبد الكريم، ولد بشهرسـتان عـام (٤٧٩هـ) وانتقل إلى بغداد=

«كل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه، يسمى خارجيًا، سواء كان في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين، أو كان بعدهم على التابعين بإحسان، والأئمة بكل مكان اهـ[1].

واصطلح على هذا الاسم على الذين خرجوا على علي بن أبي طالب رضي الله عنه بعد موقعة صفين، وكفّروه، وكفّروا عثمان ومعاوية والحكمين وطلحة والزبير بن العوام، رضي الله عنهم أجمعين.

وقيل: سموا بذلك؛ لأنهم خرجوا من الكوفة[2] إلى النهروان[3] أو إلى

=ثم عاد إلى بلده ومات بها سنة (٥٤٨هـ)، كان متكلمًا نصر مذهب الفلاسفة، أشعري العقيدة له مصنفات عديدة منها: «نهاية الإقدام في علم الكلام» ـ مخطوط ـ و«الإرشاد إلى عقائد العباد»، و«مصارات الفلاسفة» - مخطوط - و«تاريخ الحكماء» - مخطوط - وغيرها. انظر ترجمته في «الأعلام» ٦/ ٢١٥، و»معجم المؤلفين» ١٠/ ١٨٧.

(١) «الملل والنحل» ١/ ١٢٢-١٢٣.

(٢) الكوفة بالضم، مصر معروف بأرض العراق، واختلفوا في سبب تسميتها، فقيل: سميت كوفة؛ لاجتماع الناس بها، من قوله: قد تكوّف الرمل، إذا اجتمع، عمرت في عهد عمر بن الخطاب سنة ١٩هـ، وبينها وبين المدينة عشرون مرحلة. انطلقت منها الجيوش الإسلامية الفاتحة إلى المشرق، كانت منارة من منارات العلم في عهد الخلافة الإسلامية. «معجم البلدان» ٤/ ٤٩٠-٤٩٤.

(٣) النهروان: بفتح النون أو كسرها ـ كورة واسعة بين بغداد وواسط، وبها وقعة علي بن أبي طالب المشهورة على الخوارج، وهي الآن خراب، وسبب خرابها اختلاف السلاطين وقتالهم لبعضهم البعض أيام الدولة السلجوقية، وتعني عبارة النهروان - ثواب العمل - وهي ثلاث نهروانات: أعلى وأوسط وأسفل. معجم البلدان ٥/ ٣٢٤-٣٢٧.

حروراء[١][٢]، لكن هذا التعبير مترتب على التعبير الأول. إذ خروجهم على الإمام علي رضي الله عنه يستلزم مفارقتهم له ولجيشه. وكان عليٌّ رضي الله عنه بالكوفة هو وجيشه، فخرجوا منها إلى مكان يجمعهم وحدهم، فذهبوا إلى حروراء، فسمُّوا بالحرورية لأجله، ثم إلى النهروان، كما هو مدون في كتب السير والمقالات.

يقول البغدادي[٣]: «ثم إن الخوارج بعد رجوع علي من صفين إلى الكوفة انحازوا على حروراء، وهم يومئذ اثنا عشر ألفًا»[٤].

وأول الخوارج خروجًا على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه في

---

(١) حروراء: مشتقة من الريح الحارة، قرية بظاهر الكوفة على بعد ميلين منها، نزل بها الخوارج الذين خرجوا على علي رضي الله عنه، فنسبوا إليها. قال: وقد رأيت بالدهناء رملة وعثة يقال لها: حروراء، يؤيد ذلك قول النابغة الجعدي:

أيا دار سلمى بالحرورية اسلمي إلى جانب الصمان فالمتثلم

معجم البلدان ٢/ ٢٤٥ طبعة دار صادر قطع صغير عام ١٤٠٤هـ.

قلت: الصمان في قول الجعدي أرض معروفة شرق صحراء الدهناء متنزه جيد وقت الربيع ومهاجر لبعض الطيور قبل فصل الشتاء وقت معروف بالصفري.

(٢) ذكره عمار طالب في آراء الخوارج الكلامية ١/ ١٨.

(٣) أبو منصور عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي الإسفرائيني التميمي، ولد ببغداد كان رحمه الله مؤرّخا في الفرق عالمـًا متفننا فيها. توفي عام (٤٢٩هـ). وله مصنفات منها «الفرق بين الفرق»، «أصول الدين».

(٤) انظر الفرق بين الفرق ٥١.

معركة صفين عندما رفع جيش معاوية ﷺ المصاحف على أسنة الرماح، هم جماعة مسعود بن فدكي التيمي، والأشعث بن قيس، فقالوا: يدعونا القوم إلى كتاب الله، وأنت تدعونا إلى السيف، فأمروا علياً أن يرسل إلى الأشتر - قائد جيش علي - ليرجع ويكف عن قتالهم.

ثم حصلت قصة الحكمين. وكان علي بن أبي طالب يريد أن يرسل ابن عباس ليعارض ويتحاكم مع عمرو بن العاص، لكنهم أبوا وقالوا: إنما هو منك، فطلبوا منه إرسال أبي موسى الأشعري، وحصل من أمر الحكمين ما حصل!

ثم رجعوا عن قولهم، وخرجوا على علي، وقالوا: أنت حكمت الرجال ولا حكم إلا لله، إما أن تتوب فنبايعك، وإلا نكفّرك ونقاتلك، فخرجوا إلى حروراء بقيادة عبد الله بن الكوّاء اليشكري، وأشعث بن ربعي التميمي، وهم اثنا عشر ألفاً.

وقد حاول أمير المؤمنين أن يوضح لهم شأن رفع المصاحف، وأنها خدعة، وكذلك أمر الحكمين، لكنهم كانوا ينقلبون، فأرسل إليهم عبد الله ابن عباس[1] رضي الله عنهما؛ ليناظرهم في المسائل التي نقموها عليه، وهي:

١- أنه حكّم الرجال، ولا حكم إلا لله، فأخطأ وعليه التوبة.

٢- قاتل في معركة الجمل، ولم يسبِ، فلمَ؟ فإن كانوا مسلمين، فلا تجوز مقاتلتهم ولا سبيهم، وإن كانوا كافرين، فتجب مقاتلتهم وسبيهم.

---

(١) انظر الفرق بين الفرق ص ٥١.

٣- أنه في التحكيم لم يسمِ نفسه أمير المؤمنين، فإن لم يكن أمير المؤمنين فهو أمير الكافرين. فأجابهم ابن عباس عنها الجواب الكافي الوافي الذي أقام عليهم الحجة، فرجع معه كثير منهم وتابوا من عملهم، منهم عبد الله ابن الكوّاء اليشكري، وكان عددهم ثمانية آلاف[١]. فقال لهم علي بن أبي طالب: اعتزلوني، أي: لا تقاتلوا معي أهل النهروان، وسار إلى النهروان بقية الخوارج بقيادة عبد الله بن وهب الراسبي[٢] وحرقوص بن زهير[٣]. وحصل منهم شرٌّ كثير، استحلوا دماء المسلمين وأموالهم، وقتلوا

---

(١) انظر البداية والنهاية ٧/ ٢٩١، والفرق بين الفرق ٥٢، ٥٣.

(٢) عبد الله بن وهب الراسبي الأزدي أدرك النبي ﷺ، شارك في فتوح العراق مع سعد بن أبي وقاص، كان من أنصار علي، ثم خرج عليه مع رؤوس الخوارج، خطيب ذو بيان، بايعه الخوارج سنة ٣٧هـ ولما عرضت عليه الإمامة قال: «هاتوها، أما والله لا آخذها رغبة في الدنيا، ولا أدعها خوفاً من الموت». كان أمير خوارج النهروان، وفيها قتل في ٩ صفر ٣٨هـ. انظر آراء الخوارج الكلامية ١/ ٨٨-٩٥.

(٣) حرقوص بن زهير السعدي، وقيل: البجلي المعروف بذي الثدية. حضر فتوح العراق. ذكر الطبري أن عتبة بن غزوان كتب إلى عمر يستمده، فأمده بحرقوص بن زهير، هذا وهو الذي فتح سوق الأهواز. من رؤوس الخوارج يوم النهروان، برز لعلي بن أبي طالب وقال له: «لا نريد بقتالك إلا وجه الله والدار الآخرة». وفي النهروان قتل، كان علامة على الفئة الذين في قتلهم أجر يوم القيامة؛ لقوله ﷺ: «**آيتهم رجل أسود إحدى عضديه مثل ثدي المرأة أو مثل البضعة تدردر**» رواه مسلم رقم ١٠٦٤. انظر الإصابة رقم ١٦٥٦ والفرق ص ٥١-٥٤.

الصحابـي: عبد الله بـن خباب بن الأرت[1] حيث لقـوه وهم في طريقهم إلى النهـروان، وهو يهرب منهم، فأحاطوا به، وقالوا: من أنت؟ فقال: أنا عبد الله بن خباب بن الأرت. فقالوا: حدثنا حديثـاً سمعته من أبيك عن رسول الله ﷺ فقال: سـمعت أبي يقول: قال رسـول الله ﷺ: «**ستكون فتنة، القاعد فيها خير من القائم، والقائم خير من الماشي، والماشي خير من الساعي، فمن استطاع أن يكون فيها مقتولاً فلا يكونن قاتلاً**»[2].

فسـألوه عن رأيه في الشـيخين، فذكرهما بخير، وسـألوه عن ذي النورين عثمان، فجعله مُحقـاً في أول خلافته وآخرها، وعن علي قبل التحكيم، وبعده، فقال: «إنه أعلم بالله منكم وأشـد توقيا على دينه وأنفذ بصيرة»، فأخذوا عليه ذلك، فشـدَّ عليه رجل منهم اسـمه مسـمّعٌ، فقتله، فجرى دمه فوق النهروان إلى الجانب الآخر، ثـم قدموا على أم ولده في منزلـه وكانت حاملاً، فقالت

---

(١) عبد الله بن خباب بن الأرت التيمي، ذكره الطبري من الصحابة، وقال ابن خزاعة: أدرك النبي عليه السـلام، روى ابن منده: أنه أول مولود في الإسـلام عبد الله بن الزبير، وعبدالله ابن خباب، وقد سـماه النبي عبد الله، وقال لأبيه خباب: أنت أبو عبد الله. روى الحسـن البصري أن الصرم من الخوارج أوقفه، فانصرفوا يسألونه، فقال لهم: أما فيكم فلا، ولكن سـمعت رسـول الله، يقول: «**يكون من بعـدي قوم يقرؤون القرآن لا يجـاوز تراقيهم...**» الحديث. وقد قتلوه هو وابن له من جارية، والجارية. انظر الإصابة رقم ٤٦٣٨.

(٢) متفـق عليه، رواه البخاري ٣/ ١٣١٨ كتـاب المناقب، باب علامات النبوة رقم ٣٤٠٦. ومسـلم، كتاب الفتن وأشـراط السـاعة، باب نزول الفتنـة كمواقع المطـر رقم ٢٨٨٦. ٤/ ٢٢١١.

إني امـرأة حبلى، ألا تتقون الله؟! فذبحوهـا، وبقروا بطنها عن ولدها، وقتلوا جاريته[١].

فاستنكر الناس منهم ذلك أشد الاستنكار، وكانوا خارجين مع علي رضي الله عنه إلى قتال أهل الشام، فلما علموا بذلك، تراجعوا وأشاروا على عليٍّ أن يذهب إليهم.

أرسـل إليهم الإمـام علي من جهتـه الحرب بن مـرة العبـدي، فقال له: أخـبرني خبرهم، واعلم لي أمرهم، واكتـب إليّ بذلك على الجلية، فلما قدم إليهم، قتلوه[٢].

فبلغ ذلك علياً، فسـار إليهم حتـى بلغ النهروان، فلمـا اجتمع الصفَّان، طلـب منهم علي قتلة عبـد الله بن خباب، فقالوا: نحـن جميعـاً قتلته، ونحن مستحلون دمه ودماءكم!!

فوعظهـم الإمام علي، ونصحهم قبل المعركـة، لكنهم قالوا لبعضهم: لا تسـمعوا له، وتهيؤوا للرواح إلى الجنة، والتحم الصفان، وكانوا يرددون: «لا حكم إلا لله».

وبـرز حرقـوص بن زهير لعليّ، وقال: يا ابن أبي طالـب، ما نريد بقتالك إلا وجـه الله والـدار الآخرة، وقال له علي: بل مثلكـم كما قال الله عز وجل: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف: ١٠٣، ١٠٤].

---

(١) انظر البداية والنهاية ٧/ ٢٩٨، والفرق ٥١-٥٢، ودراسة الفرق في تاريخ المسلمين ص ٥٩.

(٢) البداية والنهاية ٧/ ١٩٨.

وجعـل أمير المؤمنين علي ﷺ رايته مع أبي أيوب الأنصاري، وجعلها أمناً لمن أراد التوبة منهم، وأمره أن يقول: «من جاء إلى هذه الراية فهو آمن، ومـن انصرف إلى المدائن أو الكوفة فهو آمـن، إنه لا حاجة لنا إلا فيمن قتل إخواننا». فانصرف منهم طوائف ليسـت بقليلة، وأمرهم علي باعتزال القتال ذلك اليوم.

فظهر الأمر في تلك المعركة لعلي بن أبي طالب، وقتلهم كلهم إلا تسعة نفر هربوا، أمر علـيٌّ جماعته بالبحث عن ذي الثدية أو صاحب المخدج[1]، فلمـا وجدوه سـجد علـي بن أبي طالب ﷺ لله شـكراً، حيـث تيقن أنهم هم الذين أمر الرسـولﷺ بقتلهـم بأحاديث كثيرة، منها حديث سـويد بن غفلة قال: قال عليﷺ: إذا حدثتكم عن رسول اللهﷺ فلأن أخر من السماء أحب إلي من أن أقول عليه ما لم يقل، وإذا حدثتكم فيما بيني وبينكم، فإن الحرب خدعة. سـمعت رسـول اللهﷺ يقول: «**سـيخرج في آخر الزمان قوم أحداث الأسنان سفهاء الأحلام، يقولون من خير قول البرية، يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهـم، يمرقون من الدين كما يمرق السـهم من الرميـة، فإذا لقيتموهم فاقتلوهم، فإن في قتلهم أجراً لمن قتلهم عند الله يوم القيامة**».

---

(١) ذي الثديـة، هو رجل إحدى يديه كثدي المرأة، أو كلحمة الشـاة، عليها شـعرات بيض، وصاحـب المخدج هو المخـدج ناقص الخلقة، ومخدج اليـد ناقصها، تقدمت ترجمته وهـو حرقوص بن زهير السـعدي. انظر القاموس المحيـط ٢٣٧، ومختار الصحاح ص ١٧٠ مادة خدج.

ومن طريق آخر عن سلمة بن كهيل، قال: حدثني زيد بن وهب الجهني وذكر الحديث. ثم قال علي: «لو يعلم الجيش الذي يصيبونهم ما قُضي لهم على لسان نبيهم ﷺ لاتّكلوا عن العمل، وآية ذلك أن فيهم رجلاً له عضد وليس له ذراع، على رأس عضده مثل حلمة الثدي عليه شعرات بيض. فتذهبون على معاوية وأهل الشام وتتركون هؤلاء يخلفونكم في ذراريكم وأموالكم، والله إني لأرجو أن يكونوا هؤلاء القوم - يعني الخوارج - فإنهم قد سفكوا الدم الحرام، وأغاروا في سرح الناس، فسيروا على اسم الله.

قال سلمة بن كهيل: فنزَّلني زيد بن وهب الجهني منزلاً حتى قال: مررنا على قنطرة، فلما التقينا وعلى الخوارج يومئذ عبد الله بن وهب الراسبي، فقال لهم علي: ألقوا الرماح، وسلوا السيوف من جفونها، فإني أخاف أن يناشدوكم كما ناشدوكم يوم حروراء، فرجعوا فوحّشوا رماحهم، وسلوا سيوفهم، وشجرهم الناس برماحهم، قال: وقتل بعضهم على بعض. وما أصيب من الناس يومئذ - أي قوم علي -إلا رجلان. فقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه:التمسوا فيهم المخدج، فالتمسوه ولم يجدوه، فقام علي حتى أتى ناساً قد قتل بعضهم على بعض، قال: أخّروهم فوجدوه مما يلي الأرض، فكبَّر، ثم قال: صدق الله وبلّغ رسوله.

فقام إليه عبيدة السّلماني، فقال: يا أمير المؤمنين، ألله الذي لا إله إلا هو لسمعت هذا الحديث من رسول الله ﷺ؟فقال: إي والله الذي لا إله إلا هو، حتى استحلفه ثلاثاً، وهو يحلف له[1]. رواه مسلم

(١) رواه مسلم بعدة طرق تبلغ حد التواتر ٢/ ٧٤٦-٧٤٩ كتاب الزكاة، باب التحريض على=

وبعد مقتل الخوارج في النهروان، فلت منهم تسعة نفر: صار رجلان إلى سجستان(١)، ورجلان إلى اليمن، ورجلان إلى عمان(٢)، ورجلان إلى ناحية الجزيرة(٣)، ورجل إلى تل موزن(٤).

=قتل الخوارج رقم ١٠٦٦.

(١) سجستان: ناحية كبيرة، ولاية واسعة أرضها كلها رملة سبخة، والرياح فيها لا تسكن أبداً. قال الإسطخري: أرض سجستان رمالها حارة بها نخل ولا يقع بها الثلج اهـ. مع أنها وسط آسيا بها كثير من الخوارج، وأهلها من الفرس، وفيهم المذهب الحنفي. خرج منها علماء كثيرون. قلت: أثنى عليها ياقوت وعلى أهلها. «معجم البلدان» ٣/ ١٩٠-١٩٢.

(٢) عُمان: بضم أوله وتخفيف ثانيه، إقليم على ساحل بحر اليمن والهند، يشمل على بلدان كثيرة ذات نخل وزروع، حرها يضرب به المثل، أكثر أهلها في أيامنا من الخوارج إباضية ليس بها غير هذا المذهب إلا طارئ، قال عليه السلام: «من تعذر عليه الرزق فعليه بعُمان» وقال: «إني لأعلم أرضاً من أرض العرب يقال لها: عمان على ساحل البحر، والحجة فيها أفضل من حجتين من غيرها». قاله ياقوت «معجم البلدان» ٤/ ١٥. والحديثان فيهما مقال كثير!

(٣) لم أجدها في المعجم، بل ذكر مواضع عديدة بهذا الاسم بلغت ١٦ موضعا، لكن لعلها جزيرة أقور بين دجلة والفرات؛ لقربها من موضع خروج الخوارج. المعجم ٢/ ١٣٩ ط صادر ١٤٠٤. فالمراد بها الجزيرة الفراتية. والله أعلم.

(٤) **تل موزن**: بفتح الميم وسكون الواو وفتح الزاي - بلد قديم بين رأس عين وسوج، يُزعم أن جالينونس كان بها. مبنية بحجارة عظيمة سود، فتحها عياض بن تميم رضي الله عنه سنة ١٧هـ. المعجم ١/ ٤٥ ط صادر ١٤٠٤هـ قلت: الظاهر أنها في العراق بين دجلة والفرات؛ لأن فتوحات عياض بن تميم في هذه المنطقة.

وقصة معركة النهروان وخروج الخوارج إليها مسطورة في كتب التاريخ وغيرها[١].

ولم ينتهِ الخوارج بعد هذه المعركة التي ذهبت بجميع الخوارج عدا نفر يسير. بل تتابع أمرهم في عهد الدولة الأموية والعباسية؛ ولهذا لما قيل لعلي ابن أبي طالب ﵁: الحمد لله الذي أراح العباد منهم، قال: كلا والذي نفسي بيده إن منهم لفي أصلاب الرجال، وإن منهم لمن يكون مع الدجال[٢].اهـ.

- **أشهر أسمائهم:**

هذا وقد عرف الخوارج بأسماء عديدة أشهرها:

- **المارقة**: وذلك لأخبار الرسول ﷺ عنهم بأنهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية
- **المحكمة**: لترديدهم عبارة لا حكم إلا لله.
- **الشراة**: لأنهم يزعمون أنهم باعوا أنفسهم لله عز وجل أخذا من قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ [البقرة: ٢٠٧]. وهذا ما يسمون به أنفسهم.

---

(١) انظر تاريخ الإسلام لابن جرير ٦/ ١٢٤ وما بعدها، والبداية ٧/ ٢٩٥-٣٠٠، والملل والنحل ١/ ١٢٤، ولوامع الأنوار البهية ١/ ٨٦. دراسة عن الفرق ٥٥-٦١، مقدمة آراء الخوارج الكلامية. والفرق بين الفرق ٥١-٥٤ وغيرها.

(٢) انظر لوامع الأنوار البهية ١/ ٨٦ وما بعده. وصح عن النبي ﷺ من وجوه عديدة قوله: «لا يزالون في الخروج حتى يكون آخرهم مع الدجال».

● **الحرورية**: لخروجهم من الكوفة واجتماعهم بأرض في حروراء في العراق.

ويقول عدي بن حاتم الطائي في ذكر صفات وأسماء هؤلاء[1]:

نسير إذا ما كاع قومٌ وبلَّدوا ... برايات صدقٍ كالنسور الخوافق
إلى شر قوم من شُراةٍ تحزبوا ... وعادوا إله الناس رب المشارق
طُغاة عماة مارقين عن الهدى ... وكل يرى في قوله غير صادق
وفينا عليٌّ ذو المعالي يقودنا ... إليهم جهاراً بالسيوف البوارق

- وقد ورد في ذمهم والتحذير من أفعالهم أحاديث كثيرة في الصحاح والمسانيد، حتى إن الإمام مسلماً روى أحاديثهم في صحيحه من عشرة أوجه[2].

أذكر هنا حديثاً واحداً هو أصح ما ورد فيهم، مما اتفق عليه الشيخان،لعله يكون جامعاً لما نريد معرفته عن هذه الطائفة، والحكم النبوي فيهم، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ يَقْسِمُ قَسْمًا؛ أَتَاهُ ذُو الْخُوَيْصِرَةِ وَهُوَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ اعْدِلْ! فَقَالَ: «**وَيْلَكَ! وَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَعْدِلْ، قَدْ خِبْتَ وَخَسِرْتَ إِنْ لَمْ أَكُنْ أَعْدِلُ. فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللهِ ائْذَنْ لِي فِيهِ فَأَضْرِبَ عُنُقَهُ، فَقَالَ: دَعْهُ فَإِنَّ لَهُ أَصْحَابًا يَحْقِرُ**

(١) نقل هذه الأبيات عنه عبد القاهر البغدادي في الفرق ص ٥٣.

(٢) ذكره في لوامع الأنوار ١/ ٨٦ وانظر صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفتهم ٧٤٠-٧٥٠.

أَحَدُكُمْ صَلَاتَهُ مَعَ صَلَاتِهِمْ، وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِمْ، يَقْرَؤُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنْ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنْ الرَّمِيَّةِ، يُنْظَرُ إِلَى نَصْلِهِ فَلَا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنْظَرُ إِلَى رِصَافِهِ فَمَا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنْظَرُ إِلَى نَضِيِّهِ - وَهُوَ قِدْحُهُ - فَلَا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنْظَرُ إِلَى قُذَذِهِ فَلَا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، قَدْ سَبَقَ الْفَرْثَ وَالدَّمَ، آيَتُهُمْ رَجُلٌ أَسْوَدُ إِحْدَى عَضُدَيْهِ مِثْلُ ثَدْيِ الْمَرْأَةِ أَوْ مِثْلُ الْبَضْعَةِ تَدَرْدَرُ، يَخْرُجُونَ عَلَى حِينِ فُرْقَةٍ مِنْ النَّاسِ» قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: فَأَشْهَدُ أَنِّي سَمِعْتُ هَذَا الْحَدِيثَ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَأَشْهَدُ أَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ قَاتَلَهُمْ وَأَنَا مَعَهُ، فَأَمَرَ بِذَلِكَ الرَّجُلِ فَالْتُمِسَ فَأُتِيَ بِهِ حَتَّى نَظَرْتُ إِلَيْهِ عَلَى نَعْتِ النَّبِيِّ ﷺ الَّذِي نَعَتَهُ.

قال فنزلت فيه - أي في ذي الخويصرة - قوله تعالى: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنْ أُعْطُواْ مِنْهَا رَضُواْ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْاْ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴾ [التوبة: ٥٨][(١)].

وقال أبو بكر الآجري[(٢)]:

---

(١) رواه البخاري ٦/ ٢٥٤٠ كتاب استتابة المرتدين، باب من ترك قتال الخوارج للتألف... رقم ٦٥٣٤. ورواه مسلم ٢/ ٧٤٤ في كتاب الزكاة، باب الخوارج وصفاتهم رقم ١٠٦٤.

(٢) هو محمد بن الحسن الآجري - نسبة إلى آجر من قرى بغداد - ولد قبل سنة (٣٣٠هـ) فيها، وانتقل إلى بغداد وبها ثم انتقل إلى مكة وفيها توفي عام (٣٦٠هـ)، فقيه محدث عالم له مصنفات عديدة منها: «أخلاق العلماء»، «الغرباء» - مخطوط - «فرض طلب العلم»، «التصديق بالنظر إلى الله تعالى»، وكأنه قدم في رسالة علمية وهو قطعة من كتابه الكبير الشهير «الشريعة» «أخبار عمر بن عبد العزيز» وغيرها. انظر الأعلام ٦/ ٩٧.

«وأول قرن طلع منهم على عهد رسول اللهﷺ هو رجل طعن على النبيﷺ وهو يقسم الغنائم بالجعرانة، فقال: اعدل يا محمد فما أراك تعدل. فقال النبيﷺ: «**ويلك: ومن يعدل إذا لم أكن أعدل**». فأراد عمر أن يضرب عنقه..... الحديث. ثم إنهم بعد ذلك خرجوا من بلدان شتى، واجتمعوا وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حتى قدموا المدينة، فقتلوا عثمان بن عفان رضي الله عنه وقد اجتهد أصحاب رسول اللهﷺ ممن كان في المدينة في ألّا يقتل عثمان، فما أطاقوا ذلك.

قال: ثم خرجوا بعد ذلك على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه ولم يرضوا بحكمه. وأظهروا قولهم وقالوا: لا حكم إلا لله. فقال علي رضي الله عنه: «كلمة حق أرادوا بها الباطل». فقاتلهم علي رضي الله عنه فأكرمه الله عز وجل بقتلهم، وأخبر عن النبيﷺ بفضل من قتلهم أو قتلوه، وقاتل معه الصحابة رضوان الله تعالى عليهم، فصار سيف علي بن أبي طالب في الخوارج سيف حق إلى أن تقوم الساعة...»اهـ[1].

- أما عن عدد فرقهم، فاختلف عبارات مؤرخي الفرق فيهم:
  - فقد عدد أبو الحسن الأشعري منهم ٢٤ فرقة[2].
  - وعدد الرازي ٢١ فرقة[3].

(١) انظر الشريعة؛ له ص٢٢.

(٢) المقالات ١/ ١٦٧-٢١٣.

(٣) الاعتقادات ٤٩-٥٨.

- وعدد الملطي ٢٥ فرقة[١].
- وقال السفاريني: إنهم ٢٥ فرقة[٢].
- وقال البغدادي: إنهم عشرون فرقة[٣].
- ذكر الشهرستاني منهم ٢٣ فرقة[٤].

لكن فرق الخوارج ترجع إلى هذه الأصول، وهي:

- المحكمة الأولى[٥] - فقد عدها أصحاب الفرق أول فرق الخوارج، وهي كذلك، وقد سبقت الإشارة في نشأتهم عندما قالوا: لا حكم إلا لله، وقد قُتلوا في النهروان كما سبق.

- الأزارقة: أتباع نافع بن عبد الله بن الأزرق[٦].

---

(١) التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع؛ له ١٦٧-١٧٥.

(٢) لوامع الأنوار ١/ ٨٧-٨٩.

(٣) الفرق ١٥، ٤٩.

(٤) الملل والنحل ١/ ١٢٤-١٤٣.

(٥) انظر عن عقائدهم في الفرق ٥١-٥٥، التنبيه ٥١، لوامع الأنوار ١/ ٢٨٧، الاعتقادات ٤٩، الملل ١/ ١٢٤، آراء الخوارج الكلامية ١/ ٣٥-٤٦، دراسة عن الفرق ٥١-٦١.

(٦) تفاصيل عقيدتهم في الملل ١/ ١٢٧-١٣٠، التنبيه ص ٥٤، ١٦٧، الفرق ٥٦-٥٨، الاعتقادات ٥٠، لوامع الأنوار ١/ ٨٧، تاريخ المذاهب ١/ ٧٣-٧٤، المقالات ١/ ١٦٨-١٧٤، دراسة عن الفرق ٦٦-٧٠.

ونافع هذا هو أبو راشد من بني حنيفة، وقد وهم الملطي بقوله: هم أصحاب عبد الله ابن الأزرق، بل هو أبو نافع، كان شجاعًا، كان يسأل ابن عباس رضي الله عنهما عن=

- النجدات: أتباع نجدة بن عامر النخعي(١).
- الصفرية: أتباع زياد بن الأصفر(٢).
- العجاردة: أتباع عبد الكريم بن عجرد(٣).

=معاني القرآن، خرج بأصحابه من البصرة إلى الأهواز وبلاد فارس، كانوا أقوى الخوارج وأعتاهم. وقد قتل نافع في حروبه مع جنود عبد الله بن الزبير في معركة درلاب الأهواز.

(١) انظر تفاصيل عقيدتهم في الاعتقادات ٥٠-٥١، التنبيه ٥٥، ١٦٨، الملل ١/ ١٣٠-١٣٣، دراسة عن الفرق ٧٠-٧٢، الفرق ٥٨-٦١، المقالات ١/ ١٧٤-١٧٦، لوامع الأنوار ٨٧، تاريخ المذاهب الإسلامية ١/ ٧٤-٧٦.

ونجدة هذا من خوارج اليمامة، أراد اللحوق بالأزارقة، فلقيه قوم منهم خرجوا على نافع ابن الأزرق، فأخبروه بخروجهم عليه وسبب ذلك، فبايعوه على الإمامة ورجعوا معه إلى اليمامة. ويسمون بالعاذرية؛ لأن نجدة عذر من جهل في المسائل. قتله أبو فديك؛ لخلاف معه. وصارت النجدات بعده ثلاث فرق: النجدية - العطوية - الفدكية.

(٢) انظر عقائدهم في الملل ١/ ١٤٣، اللوامع ١/ ٨٧، المقالات ١/ ١٨٢-١٨٣، الفرق ٦٠-٦٣، تاريخ المذاهب ١/ ٧٥-٧٧، دراسة عن الفرق ٧٢-٧٤، التنبيه ٥٦، ١٦٧، الاعتقادات ٥٧.

واختلفوا في نسبة الصفرية، فقد نسبهم الملطي مرة، فقال: هم أصحاب المهلب بن أبي صفرة، وقال مرة أخرى: سموا بعبيد بن الأصفر. وقال د. أحمد جلي: نسبتهم إلى عبدالله بن صفّار التميمي. أما الذي عليه أكثر أصحاب المقالات، فهو نسبتهم إلى زياد بن الأصفر، وقيل: يسمون الأصفرية. وهم من فرق الأزارقة، قال أبو الحسن: كل الأصناف سوى الأزارقة والأباضية والنجدية، إنما تفرعوا عن الصفرية.

(٣) انظر الملل ١/ ١٣٥-١٣٦، الاعتقادات ٥١-٥٢، التنبيه ١/ ١٦، المقالات ١٧٧-١٨٢،=

- **الأباضية**[١]: نسبة إلى عبد الله بن أباض بن ثعلبة التميمي من بني مرة الذين منهم رهط الأحنف بن قيس - الحليم المشهور- ظهر في خلافة معاوية بن أبي سفيان ﷺ وعاش إلى خلافة عبد الملك بن مروان خلافاً للشهرستاني الذي يقول: إنه عاش في آخر أيام مروان بن محمد.

أما الأباضية في الوقت الحالي، فيعتقدون أن مؤسس هذه الفرقة هو جابر ابن زيد أبو الشعثاء[٢]، أما عبد الله بن أباض فهو من كبار أئمتهم ومجتهديهم. كما يزعمون أنهم ليسوا خوارج، بناء على منازعتهم للأزارقة والصفرية ومفارقتهم لهم، لكن ذلك ليس بصواب[٣]، حيث يعتقدون أنهم امتداد

=الفرق ٦٣، تاريخ المذاهب ١/ ٨٨، اللوامع ١/ ٨٨، قال: إنها نسبة إلى عبد الرحمن ابن عجرد - ولعله تصحيف- قيل: افترقت من العطوية من النجدات، وقيل على قول الأكثر: إنهم من البهيية. وقد أوصل الأشعري فرقهم إلى خمس عشرة فرقة.

(١) انظر عنهم: الملل ١/ ١٤١-١٤٢، الاعتقادات ٥٧، اللوامع ١/ ٨٨، التنبيه ٥٥، ٦٨، تاريخ المذاهب ١/ ٧٨، الأباضية؛ لصابر طعيمة ٤٣-٤٩، الفرق ٧٠-٧١، المقالات ١/ ١٨٣-١٨٩، دراسة عن الفرق ٧٤-٧٨، آراء الخوارج الكلامية ١/ ١٩٣-١٩٧، ضحى الإسلام ٣/ ٣٣٦.

(٢) هو أبو الشعثاء الأزدي تابعي جليل من كبار التابعين، ولد ٢١هـ وتوفي٧٣هـ أخذ عن ابن عباس وابن عمرو، ومعاوية وغيرهم، روى له الشيخان، روى ابن حجر عن عزرة قال: دخلت على جابر بن زيد فقلت له: إن هؤلاء القوم ينتحلونك- يقصد الأباضية - قال: أبرأ إلى الله من ذلك. انظر تهذيب التهذيب ٢/ ٣٨، الطبقات الكبرى؛ لابن سعد ٧/ ١٨١.

(٣) انظر دراسة عن الفرق ٨٤-٩٠ كذلك آراء الخوارج ١/ ٢٠١-٢٠٨.

لحركة المحكمة الأولى، والأباضية الآن موجودون في عمان، ولهم دولة مستقلة، وفي شمال أفريقية وزنجبار وأنحاء من ليبيا والجزائر في المغرب الإسلامي.

- **تنبيه:**

تبرؤ الإباضية من الخوارج، إنما هو تبرؤٌ من الأزارقة والنجدات والصفرية والذين يشكلون جمهور الخوارج، ويظهر هذا جلياً في تراثهم حيث يترحمون على المحكمة الأولى، وقولهم بكفر النعمة لمرتكب الكبيرة، وتخليد صاحب الذنب في الآخرة في النار، ثم تأثروا بمذهب المعتزلة في إنكار الصفات، هذا خلاصة ما يناسب ذكره في هذا المقام!

نبذة عن نشأة المعتزلة:

- في أواخر القرن الأول الهجري ظهرت مقالات الخوارج خاصة الأزارقة والصفرية، ومن هذه المقالات التي انتشرت بين المسلمين مسألة حكم مرتكب الكبيرة في الدنيا، ومنزلته في الآخرة، حيث سلكت هاتان الطائفتان من الخوارج في تكفير مرتكب الذنب وعده كافراً مرتداً في الدنيا خالداً مخلداً في نار جهنم.

أقول: في هذا الوقت كان الناس يسألون عن حكم هذه المسائل، وفي هذه الأثناء بذرت بذرة المعتزلة ونشأت فرقتهم.

فقد دخل رجل على الإمام الحسن البصري رحمه الله، وقال: يا إمام الدين، لقد ظهرت في زماننا جماعة يكفرون أصحاب الكبائر، والكبيرة عندهم كفر

تخرج عن الملة - وهم وعيدية الخوارج-، وجماعة يرجئون أصحاب الكبائر، والكبيرة عندهم لا تضر مع الإيمان، بل العمل على مذهبهم ليس ركناً من الإيمان، ولا يضر مع الإيمان معصية، كما لا ينفع مع الكفر طاعة، وهم مرجئة هذه الأمة. فكيف تحكم لنا في ذلك اعتقاداً؟!

فتفكر الحسن البصري رحمه الله في ذلك، وقبل أن يجيب، قال واصل ابن عطاء الغزَّال: أنا لا أقول إن صاحب الكبيرة مؤمن مطلق الإيمان ولا كافر مطلق؛ بل هو في منزلة بين المنزلتين.

ثم قام واعتزل إلى سارية من سواري المسجد يقرر ما جاء به على جماعةٍ من أصحاب الحسن البصري، منهم عمرو بن عبيد البصري القدري، فقال الحسن: اعتزل عنا واصل، فسُمّيَ هو وأصحابه معتزلة[1].

بل هناك رواية أخرى مفادها: أن الحسن البصري لما سمع من واصل بن عطاء بدعته في المنزلة بين المنزلتين، طرده من مجلسه، فغلب على واصل وأتباعه وصف المعتزلة؛ لعزل الحسن لهم عن مجالسه!

ثم اعتزل إلى سارية من السواري، وانضم إليه عمرو بن عبيد، فقال الناس: إنهما قد اعتزلا قول الأئمة، وسمي أتباعهما يومئذ معتزلة[2]. فصار سوء أدب واصل مع شيخه أدَّاه إلى الاعتزال.

---

(١) انظر الملل ١/ ٢٥٥، الفرق ٨١-٨٢، تاريخ المذاهب ١/ ١٢٤، المعتزلة بين القديم والحديث ص ١٠٤، الاعتقادات ٣٤-٣٨.

(٢) الفرق بين الفرق ١٥، ٨٢.

- وما دام الحديث عن نشأة هذه الفرقة، فلا مانع من التعريج على قول أحد العلماء في نشأتهم خالف به قول جمهور مؤرخي المقالات، وهو قول الملطي[1] رحمه الله، فقال:

«وهم سمَّوا أنفسهم معتزلة، وذلك عندما بايع الحسنُ بن علي عليه السلام معاويةَ وسلم إليه الأمر، اعتزلوا الحسن ومعاوية وجميع الناس؛ وذلك أنهم كانوا من أصحاب علي، ولزموا منازلهم ومساجدهم، وقالوا: نشتغل بالعبادة، فسموا بذلك معتزلة». اهـ[2].

وقال بعض العلماء المعاصرين: إن المعتزلة سموا بذلك؛ لأن جماعة منهم كانوا يحضرون مجلس الحسن البصري منهم معبد الجهني، فلما سمعوا الحسن البصري يصرح بعقيدة السلف والرعيل الأول من صحابة رسول الله ﷺ والتابعين لهم بإحسان، ويثبت ما أثبته الله لنفسه من الصفات، اعتزلوا مجلسه، وسُمُّوا معتزلة[3].

---

(١) هو أبو الحسين محمد بن أحمد بن عبد الرحمن الملطي نسبة إلى ملطية في فلسطين، وينسب كذلك إلى الطرائفي بيع طرائف الخشب. كان فقيهاً قاضياً مقرئاً، له «كتاب التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع»، روى عن ابن الأنباري مات في عسقلان بفلسطين عام ٣٧٧هـ رحمه الله. انظر تاريخ التراث العربي ٤/ ٤٥، مقدمة التنبيه ٨-١٠، تاريخ المذاهب ١/ ١٢٤.

(٢) التنبيه ص ٤١، ولا يخفى ما فيه، خلاف ما ذهب إليه جمهور أصحاب المقالات!

(٣) ذكره الشيخ صالح البليهي في عقيدة المسلمين ٢/ ٤٧٥، ٤٩١. أقول: وهذا يدخل ضمن مقتضى قول الجمهور في الاعتزال، هو الحيد عن عقيدة السلف في مرتكب الكبيرة والأسماء والصفات وغيرها.

- وقد اتصفت المعتزلة ببعض معتقدات أخرجتها عن جماعة المسلمين، وسأذكرها مقتصراً على ما كان محل إجماع عندهم أو اتفقت عليه الأغلبية منهم، وهي:

١ - أن الفاسق من أمة محمد ﷺ ليس بمؤمن ولا كافر، بل هو في **منزلة بين المنزلتين**، وهذا سبب اعتزالهم كما تقدم، كما أنها أول مبتدعاتهم.

فهذا هو حكمه في الدنيا إذا لم يتب، أما في الآخرة، فهم يوافقون الخوارج في كونه خالداً مخلداً في نار جهنم؛ ولهذا قيل عن المعتزلة: إنهم «مخانيث الخوارج»(١). وسموا ذلك في عقيدتهم: المنزلة بين المنزلتين.

٢ -نفيهم الصفات الأزلية لله عز وجل، كالسمع والبصر والعلم وغيرها، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

- ونفيهم رؤية الله سبحانه وتعالى في الآخرة بالأبصار.

- واتفاقهم على أن القرآن ليس كلام الله، بل هو محدث مخلوق.

وهذه العقائد تسمى عندهم **بالتوحيد** كما قعَّده المتأخرون منهم. وكلها تتعلق بنفي الصفات اللائقة بالله، عنه سبحانه!

٣- اعتقادهم بأن الله سبحانه وتعالى غير خالق لأفعال الناس، وأنه لم يردها سبحانه، بل العبد يخلق فعل نفسه، أي: أنه سبحانه لم يشأ ما نهى عنه ولم يأمر به.

ومنهم من غلا في ذلك وقال: إن الله لا يعلم فعل العبد إلا بعد وقوعه.

---

(١) انظر الفرق بين الفرق ٨٢.

تعالـى الله عن قولهم؛ ولهذا سـموا بالقدريـة، ويعرف هذا عنـد المتأخرين **بالعدل**.

٤- قالـوا بوجـوب الخـروج على الإمـام الجائر، حتى يعـترف بظلمه وجوره ويتوب، وفيه قالوا بأن أهل الجمل وصفين فسـقة بجملتهم، لا تقبل شـهادتهم جملة. فلو أتى شـاهدان: أحدهما من أصحاب علي، والآخر من أصحاب معاوية، فإن شهادتهما ترد جميعـًا؛ لأننا لا نعرف من الفاسق منهما. وهذه العقيدة تسمى عند متأخريهم **بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**.

٥- تخليـد صاحـب الذنـب في الآخرة بالنار، إذا لم يتـب منه في الدنيا، وهو الأصل من أصولهم الخمسة الذي اصطلحوا عليه بـ«**إنفاذ الوعيد**».

هـذه جملـة العقائد التي عرفـوا بها، وتميزوا بها عن باقـي الطوائف(١)، وهي محل اتفاق بينهم، وربما سميت بالأصول الخمسة.

● وقد وقفت على نكتة عجيبة هي أن في اليهود طائفة تسمى «الفروشيم» كانت تتكلم في القدر يقولون: إن الأفعال ليسـت كلها من خلق الله، وكذلك كانـوا يقرؤون التوراة على مقتضى منطق الحكماء من أسـلافهم، فانظر إلى

(١) انظـر هذه العقائد في: «الملـل» ١/ ٥٠-٥٧، «الفرق» ٧٨-٨١، «المقالات» ١/ ٢٣٥-٢٤٩، «التنبيه» ٤١-٤٧، «الاعتقادات» ٣٨-٤٩، «اللوامع» ١/ ٧٦، «تاريخ المذاهب» ١/ ١٢٦-١٢٩، «مقدمـة محقـق أصول اللالكائـي» ١/ ٢٨-٣٢، «المعتزلة بين القديم والحديـث» ٤٧-٨١، و«الأصول الخمسـة وشـرحها» للقاضـي عبد الجبـار الهمداني المعتزلي.

هـذا التشـابه بينها وبين طائفة المعتزلة عند المسـلمين، والـذي حدا ببعض مؤرخـي الملـل أن يعتقد بـأن المعتزلة من بقايـا فكر تلك الطائفـة اليهودية الفروشيمية[١].

- **أشهر فرق المعتزلة:**

هذا وقد بلغت فرق المعتزلة على ما ذكره كتّاب الملل والفرق عشـرين فرقة[٢]، هذه أهمها:

- **الواصلية:** أتباع واصل بن عطاء[٣] وأصحابه عمرو بن عبيد صاحب **العمروية**[٤].

---

(١) نقـل ذلـك محمد أبو زهـرة في «تاريـخ المذاهـب» ١/ ١٢٥ عن المقريـزي في خططه، وأحمد أمين في «فجر الإسلام».

(٢) «الفـرق» ٧٨، «اللوامـع» ١/ ٧٦، «الملـل» فهـرس المجلـد الأول، و«الاعتقـادات» ١/ ٣٨، «تاريخ المذاهب» ١/ ١٣٨-١٣٩، «التنبيه» ٤٠.

(٣) هـو أبـو حذيفة واصـل بن عطاء الغـزَّال ــ لأنه كان يجلس في سـوق الغزاليـن ــ ولد بالمدينة سـنة ٨٠هـ، ورحـل إلى البصرة وتتلمذ على الحسـن البصري ثـم اعتزله. كان متكلمـا بليغـًا عالمـًا - مات بالبصرة ١٣١ هــ. «اللوامع» ١/ ٧٧. وانظر سـيرته وفرقته «تاريـخ الـتراث العربـي» ٤/ ١٨. «مقدمـة محقـق اللالكائـي» ١/ ٢٨، «الفـرق» ٨١، «الملل» ١/ ٥٣-٥٧، «الاعتقادات» ٣٦، «التنبيه» ٤٠، «ضحى الإسلام» ٣-٩٧-٩٨.

(٤) أبـو عثمـان عمـرو بن عبيـد بن باب مولـى بني تميم، جده من سـبي كابـل، ولد في بلخ عـام ٨٠هــ كان عالمـًا زاهداً تتلمذ على الحسـن البصـري ثم اعتزل مـع واصل، مات سـنة ١٤٤هـ فرقته تسـمى: العمروية. انظر «تاريخ الـتراث» ٤/ ٢٠، «الاعتقادات» ٣٦، «ضحى الإسلام» ٣/ ٩٧-٩٨، «الفرق ١٥، ٨٤، «اللوامع» ١/ ٧٧.

- **الهذيلية**: أصحاب أبي الهذيل العلاف(١).
- **النَّظامية**: أتباع إبراهيم النظام(٢).
- **الجاحظية**: أتباع الأديب المشهور بالجاحظ(٣).

---

(١) هو أبو الهذيل محمد بن عبد الله العلاف، كان مولى لعبد قيس، ولد سنة ١٣٥هـ بالبصرة أخذ العلم عن بشر بن سعيد وأبي عثمان الزعفراني صاحبي واصل بن عطاء، لم يدرك في الجدل مثله كما قال الملطي: كان متكلماً من تلامذته النظام، وقد عمر نحو مائة سنة، خالف المعتزلة في مسائل كثيرة استوجب كثرة الردود عليه مات سنة ٢٢٦هـ له مصنفات. انظر سيرته وفرقته في: «التنبيه» ٤٣-٤٤، «الفرق» ٨٥-٩٢، «تاريخ التراث» ٤/ ٦٦، «الاعتقادات» ٤٠، «الملل» ١/ ٥٧-٦٠.

(٢) هو إبراهيم بن سيّار النظام أبو إسحاق، تلميذ ابن أخت العلاف، كان ينظم الخرز؛ لذلك سمي بالنظام، ولد في البصرة، طالع كتب الفلاسفة، وعاشر الثنوية والسُّمنية من الملاحدة، وأخذ عن هشام بن الحكم الرافضي. كان متكلما جدلياً شاعراً، رد عليه كثير من المعتزلة كشيخه أبي الهذيل العلاف والجبائي، ومن تلامذته الجاحظ، له مصنفات منها: «النكت» و»التوحيد»، «العالم»و «رد على الثنوية» وهو صاحب «الطفرة» المشهورة عنه. مات ببغداد سنة ٢٢٠هـ. انظر ترجمته وفرقته في: «الملل ١/ ٦٠-٦٧، «الفرق» ٩٣-١١٠، «الاعتقادات» ٤٠-٤١، «اللوامع» ١/ ٧٧-٧٨، «تاريخ التراث» ٤/ ٦٧-٧٠، «التنبيه» ص٤٤، «ضحى الإسلام» ٣/ ١٠٦-١٢٦.

(٣) هو أبو عثمان عمرو بن محمد الجاحظ -سمي بذلك لجحوظ عينيه- ولد بالبصرة وأخذ عن علمائها، ولازم النظام وأخذ عنه الاعتزال، علم علم الكلام، طالع كتب الفلاسفة، أقام ببغداد، وهو من كبار المعتزلة كسابقيه، ضلالاته في كتبه مشهورة، من كتبه: «الحيوان»، و«جلاء البيان والتبيين»، «رسالة التربيع والتدوير»، راجع فرقته وسيرته: =

- **الجبائية**: أتباع محمد بن عبد الوهاب الجبائي[(١)].

وهـؤلاء الفرق تتحد في الأصول الخمسـة، سـالفة الذكر، وتختلف في بعض مسائلها وتفاصيلها، كما بسط ذلك عرضـاً ونقداً أبو الحسن الأشعري في كتابه «مقالات الإسلاميين» وأبو محمد بن حزم في كتابه «الفصل في الملل والأهواء والنحل» رحمهما الله.

نبذة عن نشأة المرجئة

- الإرجاء لغة هو التأخير[(٢)].

=«الملـل» ١/ ٨٠-٨٢، «الاعتقادات» ٤٤، «الفرق» ٢٩-١٣١، «اللوامع ١/ ٧٩-٨٠، «تاريخ المذاهب» ١/ ١٢٩، «ضحى الإسلام» ٣/ ١٢٧-١٤٠.

(١) هو أبو علي محمد بن عبد الوهاب الجُبَّائي، نسـبة إلى جُبّا وهي قرية من قرى البصرة- ولـد عـام ٢٣٥هـ عـرف من صغـره بقوة جدلـه، أخذ عن أبـي يعقوب الشـحام زعيم الشحامية من أصحاب العلاف.

وهو شـيخ المعتزلة في القرن الثالث من تلامذته أبو الحسـن الأشعري، وابنه عبد السلام أبو هاشم زعيم فرقة البهشمية، من مصنفاته: الرد على أصول النجوم، تفسير القرآن، وقد رد عليه الأشـعري [تفسـير القرآن والرد على من خالف البيان من أهل الإفك والبهتان، ونقض ما حرفه الجبائي والبلخي في تأليفهما].

انظـر عنـه وفرقتـه: «الملـل» ١/ ٨٣-٩٠، «الفـرق» ٣٥-٣٦، «اللوامـع» ١/ ٨٠، «الاعتقادات» ٤٤، «تاريخ التراث» ٤/ ٧٥-٧٧، «تاريخ المذاهب» ١/ ١٢٩.

(٢) انظـر «القامـوس المحيـط» ص ٥١، «مختـار الصحـاح» ٢١٦، و«عقيدة المسـلمين» ٢/ ٥٣٥، «الملـل» ١/ ١٤٤-١٤٥، «الصحاح» للجوهـري ١/ ٥٢، «المصباح المنير» للفيومي ١/ ١٥.

قال تعالى: ﴿ وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة: ١٠٦] أي مؤخرون حتى ينزل الله فيهم ما يريد. وقال تعالى: ﴿أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴾ [الأعراف: ١١١] أي أخره وأخاه.

وللإرجاء عدة معانٍ كالخوف والناحية وغيرها، لكن أشهر هذه المعاني المعنى الأول والهمزة فيه أصلية، وهناك معنى آخر هو إعطاء الرجاء، والهمزة فيه منقلبة عن حرف علة.

- الإرجاء في الاصطلاح على المعنى اللغوي المشهور له عدة معانٍ منها:

١- إرجاء المتقاتلين من الصحابة، فلا نفسِّق أحداً منهم، بل نكِل أمرهم ونفوضه إلى الله. وهذا أول إرجاء - إن صح التعبير - حصل في الأمة الإسلامية.

٢- إرجاء علي بن أبي طالب من المرتبة الأولى إلى الرابعة.

٣- إرجاء في الإيمان، وهو تأخير العمل عن إيمان القلب، فليس للعمل تأثير على الإيمان ومن ذلك تأخير حكم مرتكب الذنب إلى يوم القيامة.

٤- إرجاء على المعنى اللغوي الآخر، وهو إعطاء الرجاء، وهو قولهم: لا يضر مع الإيمان معصية، كما لا تنفع مع الكفر طاعة. وعلى هذين المعنيين الأخيرين تدور معاني الإرجاء المذموم عند العلماء في باب الإيمان. وستأتي مناقشة هذه المسائل في أبواب البحث القادمة إن شاء الله.

- أول من تكلم بالإرجاء، هو الإمام الحسن بن محمد بن علي بن أبي طالب، فكان كلامه رحمه الله في تأخير أمر أصحاب الفتنة من المقاتلين مع علي

ومعاوية رضي الله عنهما إلى الله عز وجل. وهذا محل نظر كما سيأتي، وإنما يقال: هذا إرجاء بالمعنى اللغوي، ولا يدخل في مفهوم مذموم الإرجاء. وقد ذكرنا ذلك في الخاتمة.

وذلك أنه رحمه الله كتب[١] إلى الأمصار يوصيهم بتقوى الله ويعظهم، ويقرر اعتقاده، ومن ذلك اعتقاده في أمر علي وعثمان رضي الله عنهما، وأهل صفين والجمل. قال الحافظ ابن حجر[٢]:

«المراد بالإرجاء الذي تكلم الحسن بن محمد فيه، غير الإرجاء الذي يعيبه أهل السنة المتعلق بالإيمان، وذلك أني وقفت على كتاب محمد بن الحسن المذكور، أخرجه ابن أبي عمر - هو العدني - في كتاب الإيمان له وفي آخره قال: حدثنا إبراهيم بن عيينة عن عبد الواحد بن أيمن قال: كان الحسن بن محمد بن الحنفية يأمر أن أقرأ هذا الكتاب على الناس:

أما بعد: فإنا نوصيكم بتقوى الله ونحثكم على أمره......... إلى أن قال: ونوالي

(١) نص الكتاب رواه العدني في الإيمان ص ١٤٥ رقم ٨٠، وذكر الحافظ ابن حجر في «التهذيب» أنه اطلع عليه وسيأتي كلامه. وقد حسّن محقق الإيمان للعدني إسناده.

(٢) هو أبو الفضل شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ولد في القاهرة ٧٧٢هـ ومات فيها ٨٥٢هـ، أديب شاعر محدث حافظ فقيه مؤرخ، آية في العلم صنف المصنفات العظيمة، أكثرها مخطوطات زادت على ١٥٠ مصنفاً كالفتح، والدرر الكامنة، وكتب الرجال المدونة والمصطلح، رحل إلى الحجاز. من تلامذته السخاوي، قال عنه: «انتشرت تصانيفه في حياته وشاهدتها الملوك وكتبها الأكابر». انظر «الأعلام» ١/ ١٧٨، «معجم المؤلفين ٢/ ٢٠، مقدمة «تغليق التعليق» مقدمة المحقق.

أبا بكر وعمر رضي الله عنهما، ونجاهد فيهما؛ لأنهما لم تقتتل عليهما الأمة ولم تشك في أمرهما، ونرجئ من بعدهما ممن دخل في الفتنة، فنكل أمرهم إلى الله....»[1].

فنحن نؤمن بأفضلية الصحابة وتصويبهم جميعـًا، ولا نخطئ أحداً منهم، ومن أخطأ فإنما أخطأ عن اجتهاد، وليس كل مجتهد مصيبـًا، وهو في الحقيقة لم يخطئ بل أصاب، وليس منهم أحد معصومـًا عن الأخطاء، بل هم بشر.

وأن مـن قعـد منهم عن الفتنـة، فقد اتبع للنصوص الآمـرة بالعقود عند حدوث الفتن.

ونؤمـن أن الحـق كان مع علـي؛ لدلالة النصوص عليـه، ولخبر «تقتله أولى الطائفتين بالحق» أي: تقتل ذا الثدية، وأن معاوية ومن معه من الصحابة قاتلوا على اجتهاد، فهم مصيبون بعض الأجر، يقول الله تعالى: ﴿رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾[2] [الحشر: ١٠].

- **أصناف المرجئة:** هذا والمرجئة أصناف هم:

١ - مرجئـة الخـوارج: وهم الذيـن أخروا الحكم على بعـض الناس إلى الله

---

(١) انظر «تهذيب التهذيب» ٢/ ٣٢٠-٣٢٢.

(٢) ذكر عقيدة أهل السـنة والجماعة في الخلاف الذي وقع بين الصحابة في الجمل وصفين بعد مقتل عثمان ﷺ - في الفطر السـليمة. وانظر الوسـطى ص ٤٧١ وما بعدها، كذلك «السـنة» للبربهاري ٢٨ فما بعدها، «معـارج القبول» ٢/ ٤٨٩ «الواسـطية» و«التدمرية» و«نونيـة القحطـاني» و«نونية ابـن القيم» وكتب الإيمان والسـنة التي صنفهـا علماء أهل السنة والجماعة.

سبحانه وتعالى، كالحكم على القعدة من بعض طوائفهم. وهذا الإرجاء عند بعض طوائف الخوارج.

٢- مرجئة الكرامية: وهم يؤخرون العمل عن الإيمان، ويزعمون أن الإيمان مجرد القول فقط.

٣- مرجئة الأحناف: ويسمون بمرجئة الفقهاء، ومرجئة العراق، وقالوا بأن الإيمان قول واعتقاد، فأخروا العمل عن الإيمان، ويلحق بهم الماتريدية الذين زعموا أن الإيمان اعتقاد بالقلب، وقالوا بأن النطق بالإيمان ركن زائد ليس بأصلي!

٤- مرجئة الجبرية: ومنهم الجهمية، فهم يرجئون العمل عن الإيمان، وجمهورهم يكتفي بالقول بأن الإيمان إنما هو بالمعرفة، فهم أخروا العمل والقول[1]، والأشاعرة زعموا أن الإيمان هو تصديق القلب فقط.

هؤلاء طوائف أوصلهم البعض إلى خمس فرق مع اختلاف بينها[2].

تنبيه:

خلاصة لما سبق، فإنا نجد أن مذهب المرجئة في مراحله الأولى يكاد يكون ردة فعل مبتدعة لمذهب الخوارج المبتدع، حيث كان للخوارج

---

(١) انظر «الفرق» ١٥١-١٥٣، «الملل» ١/ ١٤٠، «المذاهب» ١/ ٢٢-٢٤، «الاعتقادات» ٩٣، «المعاملات» ١/ ٢١٤، «عقيدة المسلمين» ٢/ ٥٣٥-٥٤٢. والبغدادي لم يذكر مرجئة الخوارج.

(٢) انظر تفاصيل قولهم في: «الملل» ١/ ١٤٥-١٥١، «الفرق» ١٥١-١٥٢، «الاعتقادات» ٩٣-٩٥، «اللوامع» ١/ ٨٥-٩٠.

الظهور البارز، والسطوة الفعلية، والقوة والتمذهب بجماعات لها حروب وكيانات، أثَّر بردة فعل عكسية بقول الإرجاء أولاً، ثم بمذاهب المرجئة على تنوعها وتفاوتها ثانياً، والله أعلم.

- **ما ورد في ذم المرجئة:**

وأختم الكلام عن المرجئة بإيراد بعض الآثار الواردة فيهم:

١- عن أبي أمامة ﷺ قال: قال النبي ﷺ: «**لعنت المرجئة على لسان سبعين نبياً**». رواه ابن أبي عاصم، وابن جرير الطبري(١).

٢- عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**صنفان من أمتي ليس لهما في الإسلام نصيب: المرجئة والقدرية**». رواه الترمذي وابن ماجه وابن جرير الطبري وغيرهم(٢).

---

(١) رواه ابن أبي عاصم في «السنة» ص ١٤٢ رقم ٣٢٥. وابن جرير الطبري في «تهذيب الآثار» ص ٦٥٧ رقم ٩٧٤. وقد ضعف الألباني رواية ابن أبي عاصم من طريق معاذ بن جبل. رواه الآجري في «الشريعة» ١٤٨ من طريق عن أبي هريرة.

(٢) رواه الترمذي رقم ٢١٤٩ بلفظ «ليس لهما في الإسلام نصيب» وقال: حديث غريب حسن صحيح. ورواه ابن ماجه رقم ٧٣ وقال الألباني: ضعيف. ص٧ من ضعيف ابن ماجه، ورواه ابن جرير في «تهذيب الآثار» رقم ٩٧٢ من حديث ابن عمر، وابن أبي عاصم في «السنة» رقم ٩٤٦ وقال: إسناده ضعيف جداً، وقال في «مجمع الزوائد»: رواه الطبراني عن واثلة بن الأسقع في «الأوسط»، وفيه محمد بن محصن، وهو متروك. وقال السيوطي في «الجامع الصغير»: حسن، رقم ٥٠٤٢. ورواه أبو عبيد بن سلام رقم ٢١ من حديث ابن عمر.

٣- عن حذيفة بن اليمان ﷺ قال: إني لأعرف أهل دينين أهل هذين الدينين في النار، قوم يقولون: إن الإيمان كلام، وقوم يقولون: ما بال الصلوات الخمس وإنما هي صلاتان[١].

٤- وعن سعيد بن جبير قال: «مثل المرجئة مثل الصابئين»[٢].

٥- وعن إبراهيم النخعي قال: «المرجئة أخوف عندي على الإسلام من عدتهم من الأزارقة» رواه الآجري[٣].

والآثار في ذلك كثيرة، أخرج كثيراً منها الآجري في «الشريعة» باب في المرجئة وسوء مذهبهم عند العلماء[٤].

وقد صنف العلماء في الرد عليهم كتباً كثيرة كالإيمان لمحمد بن مندة، ولأبي عبيد بن سلام، ولأبي بكر بن أبي شيبة، وللعدني أبي عمر، والإيمان للإمام أحمد، ولأبي يعلى[٥]، وكتب السنة كالسنة لعبد الله بن أحمد، والسنة لابن أبي عاصم، والسنة للخلال، والسنة لمحمد بن نصر المروزي، ومدونات الحديث التي تتضمن رداً عليهم، وغير ذلك كثير.

---

(١) رواه الآجري في «الشريعة» ص ١٤٣، وابن جرير في «تهذيب الآثار» رقم ١٠٠٨، وأبوعبيد القاسم بن سلام في «الإيمان» رقم ٢٠ وعبد الله بن أحمد في «السنة» رقم ١٦٣.

(٢) رواه الآجري في «الشريعة» ص ١٤٤، وعبيد الله بن أحمد في «السنة» رقم ٦٦٢ وحسن المحقق إسناده.

(٣) رواه الآجري في «الشريعة» ص ١٤٣، وعبد الله بن أحمد في «السنة» رقم ٦١٧.

(٤) «الشريعة» ص ١٤٣-١٤٨.

(٥) مخطوطات في الظاهر، ويوجد قسم مصورة الجامعة الإسلامية، وقد حُققا في أطاريح علمية.

الفصل الأول

الأقوال في الإيمان

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: مذهب السلف في الإيمان وأدلته.

أولاً: أركان الإيمان وأدلتها.

ثانيـــاً: عقيدة السـلف في كـون الإيمان قولاً باللسـان واعتقـاداً بالجنان وعملاً بالأركان، والأدلة على ذلك.

المبحث الثاني: أقوال الناس في تعريف الإيمان.

المبحث الأول: مذهب السلف في الإيمان وأدلته.

أولاً: أصول الإيمان وأدلتها.

أصول الإيمان عند أهل السنة والجماعة ستة هي:

الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره.

الدليـل علـى ذلك إجمـالاً: قولـه تعالـى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

ولقوله تعالـى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُۚ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٣٦].

ولحديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: بينما نحن جلوس عند النبي ﷺ ذات

يوم، إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يعرفه أحد منا، لا يُرى عليه أثر السفر، حتى جلس إلى النبيﷺ، فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه وقال: يا محمد أخبرني عن الإسلام، فقال: ..... ثم قال: فأخبرني عن الإيمان: قال: «**أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره**»، قال: صدقت.... وذكر الحديث. متفق عليه(١).

فعلى هذا تكون أركان الإيمان الستة هي:

١ - **الإيمان بالله**: وهو توحيده بربوبيته وألوهيته وأسمائه وأفعاله وصفاته ومنه قول: لا إله إلا الله.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ﴾ [النساء: ١٣٦].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لما توفي رسول اللهﷺ وكان أبو بكر، وكفر من كفر من العرب، فقال عمر لأبي بكر رضي الله عنه: كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله ﷺ: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فمن قالها عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه، وحسابه على الله**»(٢). متفق عليه.

---

(١) رواه مسلم عن ابن عمر عن عمر ١/ ٣٦، كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإحسان، وروى البخاري نحوه من حديث أبي هريرة ١/ ٢٧ كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي، عن الإيمان والإسلام والإحسان... ولم يذكر: «أن تؤمن بالقدر خيره وشره».

(٢) رواه البخاري ٢/ ٥٠٧ كتاب الزكاة، باب وجوب الزكاة. ورواه مسلم ١/ ٥١ كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله محمد رسول الله.

٢- **الإيمان بالملائكة**: ومن الإيمان بالملائكة الإيمان بوجودهم بأنهم من عباد الله وخلق من خلقه، وأن لهم وظائف خاصة بهم، وأنهم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، قال تعالى: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ... ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

ولقوله عز وجل: ﴿ وَجَعَلُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمۡ عِبَٰدُ ٱلرَّحۡمَٰنِ إِنَٰثًاۚ أَشَهِدُواْ خَلۡقَهُمۡۚ سَتُكۡتَبُ شَهَٰدَتُهُمۡ وَيُسۡـَٔلُونَ ﴾ [الزخرف: ١٩]. وهذا إيمان بفضلهم ومكانتهم، وإيمان راجح بعظم خلقهم وكثرتهم.

ولحديث عمر عن جبريل وفيه: «**أن تؤمن بالله وملائكته...**» الحديث.

٣- **الإيمان بالكتب**: وهو الإيمان بالكتب التي أنزلها الله على رسله وأنبيائه ومنها خاتمها القرآن الذي أنزله الله على عبده ورسوله محمدﷺ.

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُ ... ﴾[النساء: ١٣٦].

وكما في حديث جبريل: «**أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه...**» الحديث.

٤- **الإيمان برسل وأنبياء الله**: وهو الإيمان بالنبي محمدﷺ وبرسل الله وأنبيائه السابقين عليهم الصلاة والسلام دون تفريق.

قال تعالى: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦ ﴾[البقرة: ٢٨٥].

وقال عز وجل: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمۡ يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ أُوْلَٰٓئِكَ سَوۡفَ يُؤۡتِيهِمۡ أُجُورَهُمۡۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴾[النساء: ١٥٢].

ولحديث جبريل، وفيه: «**أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله...**» الحديث.

٥ - **الإيمان باليوم الآخر**: وهو البعث والنشور بعد الموت، ومنه الإيمان بما أخبر به سبحانه مما يكون في يوم القيامة وفي القبر.

قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴾ [البقرة: ٨].

وقال: ﴿ قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ ﴾ [التوبة: ٢٩].

ولحديث جبريل وفيه: «**أن تؤمن بالله...... وباليوم الآخر**» الحديث.

وفي رواية لهذا الحديث فيها: «**أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وتؤمن بالبعث**» الحديث. رواه مسلم[١].

٦ - **الإيمان بالقدر**: وهو الإيمان بأن الله سبحانه قدر كل شيء، وأن خير القدر وشره وحلوه ومره من الله تعالى، وأن ما أخطأك لم يكن ليصيبك وما أصابك لم يكن ليخطئك، وهذا يتضمن الإيمان بمراتب القدر الأربعة:

أ - علم الله السابق.

ب - كتابته في اللوح المحفوظ.

جـ - إرادته ومشيئته.

د - خلقه لكل شيء.

قال تعالى: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴾ [القمر: ٤٩].

وقال: ﴿ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ ﴾ [المرسلات: ٢٣]، ولحديث جبريل وفيه: «**أن تؤمن بالله...... بالقدر خيره وشره**»، وفي رواية: «**تؤمن بالقدر كله**»[٢].

---

(١) رواه مسلم ١/ ٤٠ كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان.

(٢) رواه مسلم ١/ ٤٠ كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان.

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**احتج آدم وموسى، فقال موسى: يا آدم أنت أبونا خيبتنا وأخرجتنا من الجنة. قال له آدم: يا موسى اصطفاك الله بكلامه وخط لك بيده أتلومني على أمر قدره الله عليّ قبل أن يخلقني بأربعين سنة؟!! فحجّ آدم موسى، فحجّ آدم موسى**»[(١)].

ثانياً: مذهب السلف في الإيمان:

مذهب أهل السنة والجماعة أن الإيمان هو:

تصديق بالجنان وإقرار باللسان وعمل بالجوارح والأركان. قال الشافعي - محمد بن إدريس - رحمه الله: «وكان الإجماع من الصحابة والتابعين من بعدهم ومن أدركنا يقولون: إن الإيمان قول وعمل ونية، لا تجزئ واحدة من الثلاثة إلا بالأخرى». اهـ[(٢)].

وقال القحطاني في نونيته[(٣)]:

إيمـانـنـا بـالله بـيـن ثـلاثـة ... عـمـل وقـول واعـتـقـاد جـنـان

---

(١) رواه البخاري ٦/ ٢٤٣٩ كتاب القدر، باب تحاجّ آدم وموسى عند الله. ورواه مسلم ٤/ ٢٠٤٢ كتاب القدر، باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام.

(٢) انظر النقل عنه في «شرح النونية» ٢/ ١٣٩، و«مجموع الفتاوى» ٧/ ١٧٠-١٧١.

(٣) لعله أبو محمد عبد الله بن محمد الأندلسي القحطاني المالكي كان فقيهاً حافظاً للتاريخ، وكان من أفضل الناس ومن ثقاتهم. قال السمعاني: كان فقيهاً رحل في طلب العلم إلى المشرق والمغرب. وقال الحاكم في «تاريخ نيسابور»: وقد اجتمعنا في همدان مات سنة ٣٨٧هـ. انظر «مقدمة تعليق نونية القحطاني ٨٢٧.

- والدليل على أن من الإيمان تصديق القلب: قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ﴾[المائدة: ٤١].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: «**يدخل الله أهل الجنة الجنة، ويدخل أهل النار، النار ثم يقول: انظروا من وجدتم في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان، فأخرجوه ...**» الحديث. متفق عليه(١).

- والدليل على أن من الإيمان الإقرار بالله: قوله تعالى: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾[البقرة: ١٣٦].

ولحديث: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله...**» الحديث.

ولأن النبي ﷺ لبث يدعو في مكة ثلاث عشرة سنة إلى قول كلمة التوحيد والعمل بها.

- والدليل على أن من الإيمان عمل الأركان: قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾[الكهف: ١٠٧].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**الإيمان بضع وسبعون - أو بضع وستون - شعبة فأفضلها - أعلاها - قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة**

---

(١) حديث الشفاعة رواه البخاري ٦/ ٧٢٧، كتاب التوحيد، باب كلام الرب يوم القيامة مع أنبيائه. ورواه مسلم ١/ ١٨٣، ١٧٢، كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها.

الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان»[1] متفق عليه.

وقد صنفت في تعداد هذه الشعب عدة مصنفات[2]. رحم الله علماء المسلمين.

المبحث الثاني: أقوال الناس في تعريف الإيمان:

اختلفت آراء الناس في تعريف الإيمان أو مسمى الإيمان إلى أقوال، خلاصتها:

١- قول جمهور أهل السنة والجماعة أنه اعتقاد وقول وعمل[3].

٢- قول الخوارج أن الإيمان قول واعتقاد وعمل. هم يوافقون أهل السنة بالتعريف، لكنهم يخالفونهم في أن العمل إذا زال بعضه زال باقيه، فيزول بزواله الإيمان[4].

٣- قول المعتزلة، وهم يوافقون الخوارج في تعريف الإيمان - وأهل السنة كذلك - لكنهم يوافقونهم في مسألة زوال الإيمان بزوال بعضه أو بعض العمل[5]. فقولهم كقول الخوارج، لكنهم يخالفونهم في اسمه في الدنيا،

---

(١) أخرجه البخاري ١/ ١٣، كتاب الإيمان، باب أمور الإيمان. ومسلم ١/ ٦٣، كتاب الإيمان، باب عدد شعب الإيمان.

(٢) كـ«المنهاج في شعب الإيمان» لأبي عبد الله الحسن الحليمي ت ٤٠٣هـ، و«الجامع لشعب الإيمان» لتلميذه أبي بكر أحمد البيهقي ت ٤٨٥هـ، وقد اختصره أبو المعالي القزويني ٦٩٩هـ وغيره.

(٣) نقل ابن عيسى في «توضيح الكافية الشافية» نقولًا عن الصحابة والتابعين وأئمة أهل السنة على قولهم، ونقل عمن نقل إجماعهم على ذلك ٢/ ١٣٩ وما بعدها.

(٤) انظر آراء الخوارج الكلامية «الموجز» لعبد الكافي الإباضي ٢/ ٩٠.

(٥) انظر آراء المعتزلة «شرح الأصول الخمسة» ٧٠٧-٧٠٨.

وإن اتفقوا على حكمه في الآخرة.

قول المرجئة عمومًا، وهم أربع طوائف، أرتبهم بدءً من أخفهم على النحو التالي:

١- ما يروى عن أبي حنيفة وأصحابه في أن الإيمان هو قول وتصديق فقط[١].

٢- مذهب الكرامية[٢] وهو قولهم أن الإيمان إقرار باللسان فقط. قصدوا بذلك كلمة التوحيد[٣].

٣- مذهب الماتريدية وجمهور الأشعرية بأن الإيمان هو التصديق بالقلب وأن الإقرار ركن زائد ليس بأصل. وهو رواية عن أبي حنيفة(٤).

٤- قول الجهمية «وهم المرجئة المحضة» وبعض الأشاعرة بأن الإيمان هو المعرفة (٥).

وقد بسط هذه الأقوال غير واحد منهم شيخ الإسلام في «الإيمان» وأبو المعين النسفي في «تبصرة الأدلة»، وعنهما نقله شارح «العقيدة الطحاوية» ابن أبي العز، رحمهم الله.

---

(١) «شرح الفقه الأكبر» ١٢٤، «الطحاوية» ٣٣٢ وما بعدها.

(٢) طائفة زعيمها محمد بن كرام أبو عبد الله السجستاني، طرد من سجستان إلى عورستان، وأصحابه أوغاد، تبعه من أهل نيسابور شرذمة من أكره القُرى والدُّهم، دعا إلى التجسيم وأن معبوده محل للحوادث، وقال باستحالة وجود أفعاله وصفاته في الأزل. تعالى الله عما يقول. انظر «الفرق» ١٦١-١٧٠.

(٣) «شرح الفقه الأكبر» ١٢٤، «الطحاوية» ٣٣٢، «التمهيد» للباقلاني ٣٨٨١.

(٤) «التوحيد» لأبي منصور ٣٨٠-٣٨١، «الإرشاد» لأبي المعالي ٣٣٣-٣٣٥، «الطحاوية» ص ٣٣٢-٣٣٣، «شرح الفقه الأكبر» ١٢٥-١٢٦.

(٥) «الإيمان» للعدني ص ٩٦، «مجموع الفتاوى» ٧/ ١٢٠.

الفصل الثاني

دخول الأعمال في تعريف أو مسمى الإيمان

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الأقوال في دخول الأعمال وأدلة كل قول.

المبحث الثاني: مناقشة الأدلة وبيان الراجح من الأقوال.

المبحث الثالث: هل الخلاف بين أهل السنة ومرجئة الفقهاء لفظي؟!!.

المبحث الأول: الأقوال في دخول الأعمال وأدلة كل قول.

وهو الأقوال في مسألة دخول الأعمال في تعريف الإيمان أو مسماه، وهذه الأقوال بناء على اختلافهم في تعريف الإيمان وهي:

١ - أهل السنة والجماعة يعتقدون بأن الإيمان قول باللسان، واعتقاد بالجنان، وعمل بالجوارح والأركان. فالعمل عندهم من الإيمان، ويعتقدون أن عمل الجوارح يؤثر في الإيمان زيادة ونقصاً.

٢- قول الخوارج: وهم يوافقون أهل السنة في تعريف الإيمان، وبدخول الأعمال في الإيمان. لكنهم يقولون: العمل شرط لقبول العلم، إذا زال بعض العمل زال باقيه، بناء على عقيدة أن الإيمان كل لا يتجزأ. وسيأتي زيادة بيان الكلام على مسألة مرتكب الكبيرة إن شاء الله.

٣- قول المعتزلة: وهم يوافقون أهل السنة كذلك في تعريف الإيمان، لكنهم يرون رأي الخوارج في كون العلم من الإيمان، والإيمان كل لا يتجزأ.

٤ - قول المرجئة «مرجئة الفقهاء» أبو حنيفة وأصحابه، وهم يقولون: بأن

الإيمان قول واعتقاد، فلا يرون دخول الأعمال في تعريف الإيمان ومسماه.

٥- قول الكرامية القائلين بأن الإيمان قول باللسان فقط. فيلزمهم اعتقاد أنه ليس للأعمال تأثير في معنى الإيمان.

٦- قول جمهور الأشاعرة والماتريدية بأن الإيمان تصديق بالقلب، فلا يرون دخول الأعمال في الإيمان، بل الإيمان شيء واحد عندهم، سواء عمل طاعة أو لم يعمل.

٧- قول الجهمية ومن وافقهم والقائلين بأن الإيمان هو المعرفة فقط. فليس للأعمال أي أثر حتى لو كان كفراً، كالاستكبار على الله وجحوده وتكذيب رسل الله، كل ذلك لا يؤثر في الإيمان، ما دام القلب يعرف الله، وإن أنكره وكذبه ظاهراً.

ففرعون وإبليس وأبو جهل وغيرهم من زعماء الكفر عندهم، كاملو الإيمان. وفساد هذا القول جليّ واضح، حيث قال تعالى عن فرعون: ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [النمل: ١٤].

وقال تعالى: ﴿فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٣٤].

والأمثلة على قولهم وفساده كثيرة، حسبنا ما ذكرناه.

فيخلص من هذه الأقوال قولان هما:

- **القول الأول**: قول أهل السنة والجماعة والخوارج والمعتزلة. الذين يعتقدون أن الأعمال داخلة في الإيمان في الجملة.

• **القـول الثاني:** قـول المرجئة، وهـم أبو حنيفـة وأصحابـه والكرامية والماتريديـة وجمهـور الأشـاعرة، ويدخـل في معنـى قولهم قـول الجهمية وإن لـم يعتقده جمهور المرجئـة كإيمان فرعون وأمية بـن خلف مع إجماع المسلمين على كفرهم.

وهـؤلاء يقولـون بعدم دخـول الأعمـال في الإيمـان؛ لأن الإيمان - في القلب - لا يتأثر بفعل الطاعات، أو بترك المعاصي.

• **أدلـة الفريـق الأول:** وهـم أهـل السـنة ومـن وافقهـم مـن الخوارج والمعتزلة.

أدلتهم على قولهم كثيرة، وحصرها فيه مشـقة؛ ولكون الأدلة متشـابهة، فإنا سنأخذ نماذج منها تكفي للدلالة على باقي الأدلة:

١ - الأدلة والنصوص التي تتوعد من فعل المعاصي بالعذاب والوعيد، أو الخـروج مـن الإيمـان أو نقص الإيمان، فلـو كانت الأعمـال لا تؤثر في الإيمـان، لكان إيمان القلب كاملاً بدون الأعمـال، لكان هذا الوعيد ظلمـاً، وهـذا منتـفٍ عن الله سـبحانه تعالى، بل هـو العادل مطلق العـدل، لكن لما عصى ابن آدم اسـتحق العقوبة عدلاً منه سـبحانه. كقوله تعالى: ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ﴾ [مريم: ٥٩].

لحديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: سـمعت رسـول الله ﷺ يقول: «**إن بين الرجل والشرك والكفر ترك الصلاة**» أخرجه مسلم[١]. وبنحوه

(١) رواه مسلم ١/ ٨٨ رقم ٨٢، كتاب الإيمان، باب إطلاق الكفر على ترك الصلاة.

حديث بريدة ﵁ عند أهل السنن.

فيه دلالة على أن ترك الصلاة - وهي فعل بالجوارح - مخرج من الإيمان، فبذلك علم دخول الأعمال ومنها الصلاة في الإيمان.

كذلك حديث أبي شريح ﵁ أن النبي ﷺ قال: «**والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن**» قيل: من يا رسول الله؟ قال: «**من لا يأمن جاره بوائقه**» متفق عليه[١].

ولمسلم عن أبي هريرة ﵁: «**لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه**».

ففيه دلالة على أن من يؤذي جاره ويظلمه، فإن الإيمان منتف عنه، وبالنظر إلى الأدلة التي في أنه لا يخلد في النار إلا الكافر، يحمل هذا على نقص الإيمان بالمعصية.

٢- حديث أبي هريرة ﵁ أن النبي ﷺ قال: «**الإيمان بضع وسبعون شعبة، أعلاها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق**» متفق عليه.

ففي الحديث أن العمل من شعب الإيمان، كما يدل عليه قوله ﷺ: «**الطهور شطر الإيمان**»[٢].

٣- عن ابن عباس رضي الله عنهما أن وفد عبد قيس لما أتوا النبي ﷺ قال: «**من القوم؟**» قالوا: ربيعة، قال: «**مرحبًا بالقوم غير خزايا ولا ندامى**»

---

(١) رواه البخاري ٥/ ٢٢٤ رقم ٥٦٧٠، كتاب الآداب، باب إثم من لا يأمن جاره بوائقه. ومسلم ١/ ٦٨ رقم ٤٦، كتاب الإيمان، باب بيان تحريم إيذاء الجار.

(٢) رواه مسلم ١/ ٢٠٣ رقم ٢٢٣، كتاب الطهارة، باب فضل الوضوء.

فقالوا: يا رسول الله، إنا لا نستطيع أن نأتيك إلا شهر المحرم.... وفيه: فأمرهم بأربع، ونهاهم عن أربع، أمرهم بالإيمان بالله وحده. أتدرون ما الإيمان بالله وحده؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «**شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصيام رمضان، وأن تعطوا من المغنم الخمس**» متفق عليه[1].

ففي هذا الحديث أوضح دلالة على أن الأعمال داخلة في الإيمان، كما فسرها النبي ﷺ فجعل الصلاة والزكاة والصيام وإعطاء الخمس من المغنم من الإيمان، لقوم حديثي عهد بجاهلية، يستلزم ويستدعي المقام بيان قواعد الشريعة وأصول الدين، وهذه الأمور التي أمرهم بها من أعمال الجوارح.

٤- الآيات والأحاديث الدالة على دخول الأعمال في الإيمان كثيرة في القرآن: كقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾ [البقرة: ١٤٣].

فقد بوب البخاري في صحيحه: باب الصلاة من الإيمان[2] وذكر سبب نزول هذه الآية، فعن البراء بن عازب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ صلى إلى بيت المقدس ستة عشر شهراً، أو سبعة عشر شهراً، وكان يعجبه أن تكون قبلته

---

(١) رواه البخاري ١/ ٢٩، كتاب الإيمان، باب أداء الخمس من الإيمان رقم ٥٣، ورواه مسلم ١/ ٤٧، كتاب الإيمان، باب الأمر بالإيمان بالله ورسوله وشرائع الدين....

(٢) صحيح البخاري ١/ ٢٣، كتاب الإيمان، باب الصلاة من الإيمان.

البيت، وأنه صلى أو صلاها صلاة العصر، وصلاها معه قوم، فخرج رجل ممن كان صلى مع النبي ﷺ فمر على أهل المسجد وهم راكعون، فقال: أشهد بالله لقد صليت مع النبي ﷺ قِبل مكة، فداروا كما هم قبل البيت، وكان الذي مات على القبلة قبل أن تحول قِبل البيت رجال قُتلوا لم ندر ما تقول فيهم؟!! فأنزل الله على نبيه: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾[1][البقرة: ١٤٣].

هذه نماذج من أدلة القائلين بدخول الأعمال في تعريف الإيمان[2].

● **أدلة الفريق الثاني**[3]: المرجئة القائلين بعدم دخول الأعمال في الإيمان:

١ - أن الإيمان في اللغة هو التصديق، يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا وَلَوۡ كُنَّا صَٰدِقِينَ﴾[يوسف: ١٧] أي بمصدق لنا.

---

(١) صحيح البخاري ٤/ ١٦٣١، كتاب التفسير، باب تفسير قول الله تعالى: ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمۡ عَن قِبۡلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُواْ عَلَيۡهَاۚ قُل لِّلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُۚ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [البقرة: ١٤٢]، رقم ٤٢١٦.

(٢) قد بوب المروزي في «تعظيم قدر الصلاة» باباً سماه: الأحاديث التي تدل على أن الأعمال داخلة في الإيمان ١/ ٣٩٨-٥٠٥. وقبله الإمامان: البخاري في كتاب الإيمان من أول صحيحه، ومسلم في كتاب الإيمان.

(٣) انظر أدلتهم وحججهم في: «الإرشاد» ٣٣٣، «التمهيد» ٣٨٩، «الطحاوية» ٣٣٧، «شرح الفقه الأكبر» ١٢٥، «شرح النونية» ١/ ١٤٤، «مجموع الفتاوى» ٧/ في مواضع متعددة منها ص ١٢١-١٤٢، ٢٨٩، ٢٩٣ وغيرها.

حيث إن الله سبحانه وتعالى أنزل القرآن بلغة العرب، قال تعالى: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا ﴾ [الزخرف: ٣] وقال: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ ﴾ [إبراهيم: ٤].

فدل على أن الخطاب إنما هو بلغة العرب، والإيمان بلغة العرب هو ما ذكرناه.

٢- إجماع أهل اللغة قاطبة على أن الإيمان في اللغة قبل نزول القرآن وبعثة النبي ﷺ هو التصديق، لا يعرفون في لغتهم إيماناً غير ذلك.

٣- أن الإيمان هو التصديق لا يكون إلا بالقلب. قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ ﴾ [المجادلة: ٢٢]، وقال: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ ﴾ [النحل: ١٠٦].

ولحديث أسامة بن زيد رضي الله عنه قال: (بعثنا رسول الله ﷺ إلى الحرقة، فصبحنا القوم فهزمناهم، ولحقت أنا ورجل من الأنصار رجلا منهم، فلما غشيناه قال: لا إله إلا الله، فكف الأنصاري عنه، فطعنته برمحي حتى قتلته، فلما قدمنا، بلغ النبي ﷺ ذلك، فقال: «**يا أسامة، أقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله؟**» قلت: يا رسول الله، إنما قالها خوفاً من السلاح، قال: «**أفلا شققت عن قلبه حتى تعلم أقالها أم لا؟**»، فما زال يكررها عليّ حتى تمنيت أني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم) متفق عليه[1]. فدل ذلك على أن موضع الإيمان هو القلب.

---

(١) رواه البخاري ٤/ ١٥٥٥، كتاب المغازي، باب بعث النبي إلى الحرقات رقم ٤٠٢١، ومسلم ١/ ٩٥، كتاب الإيمان، باب تحريم قتل الكافر إن قال: لا إله إلا الله رقم ٩٦.

٤- إن الإيمان ضد الكفر، والكفر هو التكذيب والجحود، فصار الإيمان ضده التكذيب والجحود، وهما يكونان في القلب فكذا ما يضادهما.

٥- أن الإيمان لو كان قولاً وعملاً، أي: عمل بالأركان والجوارح يزال الإيمان بزوال العمل أو جزء منه. والإيمان كل لا يتجزأ إذا زال بعضه زال باقيه.

٦- أن الله تعالى عطف العمل على الإيمان في مواضع عديدة من القرآن، قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾[البقرة: ٢٥] وكقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾[الكهف: ١٠٧]، وهذا العطف يستلزم المغايرة.

٧- أن الكافر لو آمن قبل دخول وقت الصلاة - مثلاً - ومات ولم يصل لله صلاة، فإنه يعد مؤمناً؛ لإيمان قلبه ولتصديقه. فدل على أن الإيمان إنما يكون بالقلب.

٨- أن الأعمال قد تسقط عن بعض الناس في أوقات معينة، كالحائض والنفساء وغيرهن، فإنهم لا يصلون، ولا يصومون، ولا يطوفون بالبيت، ولا يقرؤون القرآن... فلو كانت الأعمال داخلة في الإيمان أو هي الإيمان، لما عذر مثل هؤلاء. أما إيمان القلب، فإنه على الدوام والاستمرار.

هذه أشهر أدلتهم على قولهم.

- **مناقشة الأدلة:**

١ - مناقشة الدليل الأول:

أ - لا نسلم بأن حد الإيمان في اللغة هو التصديق، لكن المعنى الشرعي

يأتي بزيادة على المعنى اللغوي، كالصلاة، هي لغة الدعاء[1]، وهي في الشرع أفعال وأقوال مخصوصة متعبد لله بها.

كذلك الصيام هو في اللغة، الإمساك[2]، لكنه في اصطلاح الشرع، الإمساك عن الطعام والشراب والجماع وسائر المفطرات، من طلوع الفجر إلى غروب الشمس. وهكذا.

فالمعنى الشرعي يأتي بزيادات وضوابط لاتوجد في المعنى اللغوي، فدل على أن الاقتصار على المعنى اللغوي للإيمان خطأ، والإيمان كالصلاة والزكاة والصوم والحج، بل هو أساسها.

ب - جواب آخر أنه فرضاً إذا كان الإيمان هو التصديق، فنقول: التصديق يكون في القلب، كما يكون باللسان والجوارح.

فمن تصديق اللسان شهادة الرجل على أمر ما، فشهادته تعتبر تصديقاً لهذا الأمر.

ومن تصديق الجوارح ما جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**إن الله كتب على ابن آدم حظه من الزنى، أدرك ذلك لا محالة، فزنى العين النظر، وزنى اللسان النطق، والنفس تتمنى وتشتهي، والفرج يصدق ذلك أو يكذبه**» متفق عليه[3].

---

(١) انظر «القاموس» ص ١٦٨١ مادة صل. و«مختار الصحاح» ٣٦٨ مادة صل.

(٢) انظر «القاموس» ص ١٤٦٠ مادة صام، وكذلك «مختار الصحاح» ٣٧٤ مادة صوم.

(٣) البخاري ٥/ ٢٣٠٤ رقم ٥٨٨٩، كتاب الاستئذان، باب زنى الجوارح، ومسلم ٤/ ٢٠٤٩، كتاب القدر، باب قدّر الله على ابن آدم حظه من الزنى رقم ٢٦٥٧.

جـ - كذلك نقول: إن أصل التصديق إنما هو في القلب، وهو الذي عليه الاعتماد، وفيه المحك؛ لحديث: «**أخرجوا من في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان**». وأما ما يظهر على اللسان والجوارح، فهو من لوازم تصديق القلب، وانتفاء اللوازم يؤدي إلى انتفاء الملزوم كما هو متصور.

وتدخل هذه اللوازم في مسمى الملزوم، كتصديق الجوارح، فإنه يسمى تصديقاً، كما يسمى الملزوم وهو الإيمان تصديقاً.

فحاصل هذه الأجوبة أن الإيمان داخل فيه عمل الجوارح، وأنه يطلق على إيمان القلب إيمان، كذلك يطلق الإيمان على عمل الجوارح.

د - ويجاب عنه أيضاً: أن أصل الإيمان مأخوذ من الأمن، وهو ضد الخوف، وإنما التصديق معنى من معانيه، فإنه يقال للمُخبر بشيء إذا صح قوله: صدَّقه ولا يقال آمنه، ولا آمن به.

هـ - والاستدلال على المعنى اللغوي بقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا﴾ [يوسف: ١٧]، نقول: فرق بين التعدية باللام كما في هذه الآية، وبين التعدية بالباء، كقوله تعالى: ﴿يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤۡمِنُ لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [التوبة: ٦١].

- فالتعدية بالباء تكون للمُخبَر به، أي: تصدق به، فإذا جاء أحد بشيءٍ معروف أو معلوم، فإنا نصدقه.

- أما التعدية باللام، فإنه يكون للمُخبِر، أي: نؤمن له، وننقاد له ونتابع، وإخبار من قِبل الإخبار عن الغائب. وهو كذلك في الآية، فلفظ الإيمان لا يستخدم إلا في الخبر عن الغيبيَّات. فيقال عن رجل قال: جاء الليل: صدقناه

ولا نقول: آمنا له؛ لأن ذلك معلوم محسوس، وهذا المعنى ليؤمن، فيه زيادة على الصدق.

فعلى ذلك، الإيمان في قوله: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا﴾ [يوسف: ١٧] يكون المقصود به المتابعة لنا على قولنا.

وإجلاءً لهذه المسألة، ودفعاً لتعلق المخالفين قول السلف الصالح في الإيمان باستمساكهم بدلالة المعنى اللغوي فقط، أحاول توضيح هذه الشبهة.

- **المعنى اللغوي للإيمان:**

إضافة لما سبق في مفارقة لفظة الإيمان لغة، لمفردة التصديق، فقد ذهب كثير من المتكلمين وغيرهم؛ بل هو العُمدة عند جماهير المرجئة أن الإيمان في مفهوم اللغة العربية هو مجرد التصديق، استدلالاً بقوله تعالى في أول سورة يوسف: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا وَلَوۡ كُنَّا صَٰدِقِينَ﴾ [يوسف: ١٧].

- **الصواب**: أن معنى الإيمان في اللغة ليس مرادفاً للتصديق، بل التصديق وزيادة، من الإقرار والإذعان والتسليم ونحوها؛ لعدة اعتبارات.

١ - أن معنى الآية في الحقيقة: ما أنت بمُقرّ لنا، ولا تطمئن إلى قولنا، ولا تثق به، ولا تتأكد منه ولو كنَّا صادقين، فإنهم لو كانوا كذلك فصدقهم، لكنه لم يتأكد ولم يطمئن إلى قولهم. وهذه بلاغة في اللغة.

٢ - أن لفظة الإيمان يقابلها الكفر، وهو ليس التكذيب فقط، بل قدر زائد عليه، وإنما الكذب يقابل لفظة التصديق.

فلما كان الكفر في اللغة ليس مقصوراً على التكذيب، فكذلك ما يقابل الكفر، وهو الإيمان لا يقابل التصديق، وليس مقصوراً عليه.

٣- أن لفظ الإيمان لا يستعمل في جميع الأخبار المشاهدة وغيرها، وإنما يُستعمل في الأمور الغائبة مما يدخلها الريب والشك، فإذا أقر بها المستمع، قيل: آمن، بخلاف التصديق، فإنه يتناول الإخبار عن الغائب والشاهد، وإخوة يوسف أخبروا أباهم عن غائب غير مشاهد، فصح أن الإيمان أخص من التصديق.

٤- أن لفظ الإيمان تكرر في الكتاب والسنة كثيراً جداً، وهو أصل الدين الذي لا بد لكل مسلم من معرفته، فلابد أن يؤخذ معناه من جميع موارده التي ورد فيها في الوحيين، لا من آية واحدة، الاحتمالُ مُتطرق إلى دلالتها!

٥- أن الإيمان مخالف للتصديق في الاستعمال اللغوي وفي المعنى:

أ - فأما اللغة فقد مضت في الجواب الثالث؛ فالاستعمال اللغوي للإيمان يُتعدى فيه إلى المُخبِر باللام، وإلى المُخبَر عنه بالباء، كقوله تعالى: ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [الأعراف: ١٥٨].

ب - أما المعنى: فإن الإيمان مأخوذ من الأمن، وهو الطمأنينة، كما أن لفظ الإقرار مأخوذ من قرَّ يقَر، وهو قريب من أمِن يأمن.

وأما الصدق فهو عدم الكذب، ولا يلزم أن يوافقه طمأنينة إلا إذا كان المُخبِر الصادق يطمأن إلى خبره وحاله.

ج - أن لفظ الإيمان يتعدى إلى غيره باللام دائماً، نحو قوله تعالى: ﴿فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ﴾ [العنكبوت: ٢٦]، وقول فرعون في الشعراء: ﴿ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ﴾[الشعراء: ٤٩}، وقوله تعالى في يونس: ﴿فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ﴾ [يونس: ٨٣]، وقوله: ﴿أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا

لَنَا عَٰبِدُونَ ﴾ [المؤمنون: ٤٧]. وقوله: ﴿ أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ ﴾ [الشعراء: ١١١]، وآيات عديدة.

أما لفظ التصديق، وصدَّق ليصدق، فإنه يتعدى بنفسه نحو: قوله تعالى في الصافات: ﴿ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [الصافات: ١٠٥]. وفي أولها: ﴿ بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [الصافات: ٣٧]. وفي سورة الزمر: {﴿ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ ﴾ [الزمر: ٧٤] فكلها بمقابل الكذب.

٦- لو فرضنا أن معنى الإيمان لغة، التصديق، لوجب ألّا يختص بالقلب فقط، بل يكون تصديقاً باللسان، وتصديقاً بالجوارح، كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه السابق «**العينان تزنيان..**» الحديث.

٧- كذلك لو قلنا: إن الإيمان أصله التصديق، فإنه تصديق مخصوص، كما أن الصلاة دعاء مخصوص، والصوم إمساك مخصوص، يتبيَّن بالمعنى الشرعي، حيث يكون للتصديق لوازم شرعية دخلت في مسماه(١).

٢- مناقشة الدليل الثاني:

وهو قولهم: إجماع أهل اللغة قاطبة على أن الإيمان قبل نزول القرآن ..

فإنا نجيب عن هذا بأجوبة هي:

---

(١) هذه الأوجه وغيرها بسطها أبو العباس ابن تيمية في مواضع من كتبه: في الإيمان الأوسط (٧/ ٥٢٩-٥٣٦)، وشرح الأصفهانية (١٤٢-١٤٣)، والمجموع (١٠/ ٢٦٩-٢٧٦)، والإيمان الكبير (١٢٦-١٣٤، ٢٧٤-٢٨١).

أ - أولاً: من نقل دعوى الإجماع هذه؟ وما هو مستند الإجماع؟ ومن أين يعلم ذلك؟ وفي أي كتاب ذكر هذا؟!.

ب - من هم أهل اللغة المعتد بإجماعهم؟ أهم العرب الأصليون، الذين لم يخالطوا الأعاجم، والباقون على سليقتهم؟

أم نقلة لغة العرب من الأئمة: كالأصمعي وأبي عمرو والخليل الفراهيدي الذين لا ينقلون ما كان قبل الإسلام بالأسانيد، إنما بما سمعوه من عرب زمانهم تواتراً عمن قبلهم من آبائهم وأسلافهم؟

وهل نقل شيخ الإسلام عن الأئمة أنهم نقلوا لفظ الإيمان، فضلاً عن أن يكونوا أجمعوا على معناه؟

جـ - أما إن عنيتم أهل اللغة المتكلمين بها من الأعراب قبل الإسلام، فهؤلاء لم نشهدهم، ولم نلتقِ بهم، ولا نقل عن أحد منهم ذلك[١].

د - ويورد شيخ الإسلام إيراداً دقيقاً، فيقول: هؤلاء لا ينقلون عن العرب أنهم قالوا كذا وكذا، وإنما ينقلون الكلام المسموع عن العرب، وأنه يفهم منه كذا وكذا.

وحينئذ فلو قدر أنهم نقلوا كلاماً عن العرب يفهم منه أن الإيمان هو التصديق، لم يكن ذلك أبلغ من نقل المسلمين كافة للقرآن عن النبي ﷺ وإذا كان مع ذلك قد يظن بعضهم - بعض المرجئة - أنه أريد به معنى ولم

---

(١) انظر «الفتاوى» ٧/ ١٢٣.

يرده، فظن هؤلاء فيما ينقلونه عن العربي؟[1]اهـ.

٥ - على فرض قبول دعوى الإجماع وأنه نقله ناقل. فإنا نقول هذا يعتبر خبر آحاد، أي: نقل هذا الناقل. وأنتم تردون النصوص الصحيحة الصريحة الثابتة عن رسول الله ﷺ الآحادية.

فكيف بهذا النقل من بشر غير معصوم يحتمل خطأً، ووهماً، خطأه أكثر من صوابه وإتقانه. فرد هذا الآحاد أولى وأعقل وأحرى.

٣- مناقشة الدليل الثالث:

ألا وهو استدلالهم بالآية ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡإِيمَٰنَ﴾ [المجادلة: ٢٢]، وقوله: ﴿إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾ [النحل: ١٠٦]، وحديث أسامة بن زيد رضي الله عنه. فنقول:

أ - نحن لا نُخالفكم في أن الإيمان يكون في القلب، وعلى أن أصل الإيمان هو في القلب، فإنا نقول بهذا، لكننا نريد أن الأعمال من الإيمان، ونقول: إن من فرغ منه الإيمان في قلبه راجع بلا إيمان، أما من فرغ منه عمل الجوارح؛ لسبب كالإكراه ونحوه، فهذا عندنا لا يؤثر على إيمانه؛ لأن الله سبحانه وتعالى قد عذره، كما مر في الآية الكريمة السابقة.

ب -إثبات هذه النصوص كون الإيمان بالقلب، لا يلزم منها نفي أن تكون الأعمال داخلة في مسمى الإيمان، بل دلالة الآية والحديث على ضرورة كون الإيمان في القلب أنه هوالمحل.

---

(١) انظر «الفتاوى» ٧/ ١٢٣، ٢٢٤، وكذلك رد هذا الدليل من ص ١٢٢-١٣١.

٤- مناقشة الدليل الرابع:

وهو قولهم أن الإيمان ضده التكذيب، نرده من وجوه:

أ- إن هذا القول لا يصحُّ لا لغة ولا شرعًا. حيث قدمنا القول بأن الإيمان في معناه اللغوي زيادة على التصديق، وأن التصديق معنى من معاني الإيمان - في مناقشة الدليل الأول - فمعلوم من النصوص الشرعية أن ضد الإيمان إنما هو الكفر، كقوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ ﴾ [التغابن: ٢]. فقابل سبحانه بين الإيمان والكفر، دل على أنهما متضادان. ولم يجعل ضد الإيمان التكذيب أو الجحود فقط.

ب- إذا كان ضد الإيمان التكذيب والجحود والإنكار مع - كونه لا يصح -، فكذلك يلزم أن يكون ضد الكفر التصديق، وهو باطل.

جـ- تصديق القلب خصصه الشارع سبحانه في أمور معينة كالمحبة والموالاة والبراءة والانقياد والخضوع، وغيرها. فهذه الأمور هي أعمال القلوب، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِي سَبِيلِي وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴾ [الممتحنة: ١].

دلت هذه الوجوه على اقتران التصديق بالإيمان، ومنع ترادفهما، وتخصيص التصديق ببعض الإيمان.

٥ - مناقشة الدليل الخامس:

قولهم: إن الإيمان كل لا يتجزأ إذا زال جزء منه زال باقيه، يُرد بأن الشيء المركب قسمان:

أ - قسم، التسمية فيه شرط، فإذا زال جزء منه زالت التسمية، ومثلوا له بالأشكال الهندسية، كالمثلث والدائرة والشكل البيضاوي، فإنه إذا زال جزء من هذه الأشكال، زالت تسمياتها، مع بقاء حقيقة ذلك الشكل دون الجزء المزال منه.

ب - قسم، التسمية ليست شرطاً فيه أو في وجوده، فإذا زال بعضه، بقي الباقي حاملاً التسمية نفسها. مثل دلو فيه ماء، فإذا نقص منه الماء الذي في الدلو بعضه، فإن تسمية الماء على الباقي لا زالت باقية.

ومن ذلك، أي: من المركب الذي التسمية فيه ليست شرطاً: الإيمان، فزوال بعض الإيمان -كبعض الأعمال- لا يقتضي زوال جميع الإيمان، إلا ما خصصه دليل من كتاب أو سنة، كمن ترك الصلاة، فإنه يكفر ويزول اسم الإيمان عنه؛ للدليل الشرعي المقتضي لذلك.

كذلك زوال جزء من أصل من أصول الإيمان، كإنكار وجود جبريل، وإثبات غيره من الملائكة، فإنه يكفر ويزول عنه اسم الإيمان؛ لدلالة النصوص، ولأن السبب الذي جعله ينكر جبريل، يُلزِمه بالكفر ببقية الملائكة.

فالمدار كله على ما دلت عليه أدلة الوحي، من ذهاب الإيمان بكله أو ببعضه، بحسب الأدلة كلها لا بعضها، أي: بالجمع بين نصوص الوعد ونصوص الوعيد.

٦- مناقشة الدليل السادس:

وهو أن عطف الأعمال على الإيمان يقتضي المغايرة بين المعطوف والمعطوف عليه، ورد ذلك ببيان أنواع المتعاطفين المشتركين في الحكم، وهي:

أ - أن يكون المعطوفان متباينين. وذلك كقوله تعالى في أول سورة الأنعام: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾ [الأنعام: ١].

فالسموات والأرض اشتركتا في الخلق، لكن كل منهما متباين عن الآخر، وكذلك الظلمات والنور، فهما متضادان.

ومن هذا القبيل حملت المرجئة العطف بين الأعمال والإيمان في النصوص القرآنية والنبوية.

ب - أن يكونا متلازمين، وهذا كقوله تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ﴾ [المائدة: ٩٢].

فطاعة المعطوف لازمة، ولا بد منها لطاعة المعطوف عليه، فطاعة الرسول لا بد منها لتحقيق طاعة الله سبحانه وتعالى. قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١].

جـ - أن يكون العطف من باب عطف الشيء على نفسه؛ لاختلاف الصفة بين المعطوفين. كقوله تعالى: ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ﴾ [غافر: ٣].

فهو سبحانه غافر للذنوب، كما أنه قابل للتوبة، فهنا عطف سبحانه صفة القبول على صفة المغفرة.

د - أن يكون العطف من باب عطف البعض على الكل، أو عطف الخاص على العام، كقوله تعالى: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ﴾ [البقرة: ٢٣٨].

- فعطف سبحانه بعض الصلوات على باقي الصلوات، من باب عطف البعض على الكل.

وكقوله: ﴿قُلۡ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ﴾ [آل عمران: ٨٤].

- ففي الآية عطف خاص على خاص. ما أنزل على إبراهيم، هي صحف إبراهيم، معطوفة على ما أنزل علينا، وهو القرآن.

وكقوله: ﴿وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمۡ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٖ وَإِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۖ وَأَخَذۡنَا مِنۡهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظٗا﴾ [الأحزاب: ٧].

- فعطف سبحانه بعض الأنبياء على كل النبيين، وعطف نوحاً على النبيين، فهذا من باب عطف الخاص على العام، وعطف البعض على الكل.

ومن هذا القبيل عطف العمل على الإيمان في أدلة الوحيين، فهو من باب عطف البعض على الكل. فبذلك يبطل استدلالهم بالمغايرة في الآية.

٧- مناقشة الدليل السابع:

وهو قولهم إن الكافر لو آمن قبل وجوب العمل عليه، كالصلاة، ثم مات، اعتُبر مؤمناً ولو لم يعمل ويصل، فدل على أن الأعمال غير داخلة في مسمى الإيمان؛ ولرد هذا نقول:

أ - لو آمن قبل أن تجب عليه عبادة أو عمل من التكاليف الشرعية، ومات قبل ذلك، فهو مؤمن؛ لأنه لم يترك عملاً قد وجب عليه؛ لأن الأعمال تجب بحسب حالها ووقتها، كالصلاة والصيام والحج، لها أوقات خاصة محدودة. أما إيمان القلب، فهو على الدوام.

ب - أن جنس الأعمال كثيرة، فلو آمن مثلاً، وداهم العدو بلدته، لكان يجب عليه أن يجاهد هذا العدو، فإن لم يفعل، اعتُبر عاصيًا، فينقص إيمانه بحسب معصيته.

جـ - أيضًا، لو آمن واشترط ألّا يعمل التكاليف الشرعية العملية، لم يصح إيمانه، كمن آمن واشترط ألّا يزكي أو يحج أو يصلي.

٨- مناقشة الدليل الثامن:

ألا وهو ادعاؤهم سقوط بعض الأعمال عن بعض الناس في أوقات محدودة، كالحائض والنفساء والمريض ونحوهم. فهؤلاء في أوقاتٍ لا يصلون، ولا يصومون، ولا يفعلون كثيراً من الأعمال، فلو كانت الأعمال من الإيمان، لما عُذر مثل هؤلاء. وهذا الادعاء باطل، وسنرده إن شاء الله كالآتي:

أ - قياس هذه الأعذار الشرعية على ترك الأعمال قياس باطل؛ لأن هؤلاء عندما لا يصلون، ولا يصومون، ولا يطوفون.... إنما يفعلون ذلك امتثالاً لخطاب الشارع سبحانه وتعالى في ترك العمل، فهم مع عدم امتثالهم لأمر الصلاة والصيام متمثلون لأمر الشارع بعدم الفعل.

ب - أنهم لم يتركوا هذه الأعمال مع وجود العذر، أو عدم وجوده، بل

تركوها لوقت محدد؛ لعذر من الله سبحانه وتعالى، فتركهم العمل طاعة في هذا الوقت، كما أنه فعلهم له طاعة في الوقت الآخر.

جـ - أن جنس الأعمال لم تسقط عنهم، كالحائض مثلاً، فهي مأمورة بطاعة زوجها، وإنكار المنكر، والأمر بالمعروف على قدر الاستطاعة، وعدم أكل الربا، وشرب الخمر، ونحوها من الأوامر والنواهي. ولو تركوها بدون عذر، لأثّر ذلك في إيمانهم بحسب هذا الذنب.

د - أننا نعذر هؤلاء كما نعذر المؤمن عند عدم إظهاره إيمانه عند السؤال خوفاً من القتل أو نحوه.

- **شبهة والرد عليها:**

وقد أجاب بعضهم كأحد الأشاعرة[1] عن استدلال أهل السنة والجماعة بقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ﴾[البقرة: ١٤٣]، وعن حديث أبي هريرة في ذكر شعب الإيمان، بأن الآية محمولة على التصديق، والمراد: وما كان الله ليضيع تصديقكم نبيكم فيما بلغكم به من الصلاة إلى القبلتين، وأما الحديث فهو آحاد مؤول، والعرب تسمي الشيء باسم الشيء إذا دلَّ عليه، أو كان بسبب. انتهى كلامه. وهذا قول فيه تكلف على حمل النصوص، وبيانه بالآتي:

١ - أن المراد بالآية كما ورد في سبب نزولها فيه «**وكان الذي مات على القبلة قبل أن تحول قِبَل البيت رجال قُتِلوا لم ندر ما نقول فيهم..**» فالسؤال

(١) هو أبو المعالي الجويني إمام الحرمين ت (٤٧٨هـ) في «الإرشاد» ٣٣٤-٣٣٥.

كان عـن أولئك الذين ماتوا، وما حال صلاتهم؟ ولم يكن الخطاب عن حالِ إيمانهم بالنبي ﷺ وتصديقهم له. فهؤلاء هل تقبل صلاتُهم إلى بيت المقدس أم لا؟ فأنـزل الله تعالى الآية بيانـاً لقبـول عملهم وصلاتهم. فهذا المعنى هو الظاهـر من الآيـة بعد العلم بسـبب نزولها، فـلا يجوز العدول عـن المعنى الظاهر إلى غيره إلا بدليل، وليس ثمة دليل.

٢- أمـا المعنى الـذي ذكرته، وهو «ما كان الله ليضيـع تصديقكم»، فإن هـذا يدخل ضمنـاً في عدم إضاعة هـذه الصلاة التي صلوها؛ لأن من تصديق النبي ﷺ اتباع ما أمره به من التحول إلى بيت المقدس، ثم التحول إلى البيت الحرام.

ومن تصديق أولئك المقتولين متابعتهم لأمر نبيهم ﷺ واستجابتهم لشرعه.

٣- أما الحكم على حديث شعب الإيمان بأنه آحاد، فمردود:

بأن خبر الآحاد معتبر عند أهل الإسلام، إذا صح سنده ومتنه، ولم يخالف غيره؛ لعموم قوله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾ [الحشر: ٧].

وكـون الحديـث آحـاداً ليس ذلـك قادحـاً عنـد أهل الصنعـة من أهل الحديث، ولم نسمع بالقدح فيه إلا عند من فسدت عقيدته، وتلوثت بمذاهب الجهمية والفلاسفة[١].

٤- قولـك «ثـم هو مـؤول» نقول فيـه: إن صرف الحديـث عن ظاهره

---

(١) ومسـألة حجية خبر الآحاد في العقيدة والشريعة مبسـوطة في تصانيف كثيرة من أبسطها، «الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة» للعلامة ابن القيم.

بغير قرينة دالة على ذلك، اعتبره السلف تأويلاً فاسداً، وتحريفاً لوحي الله، وذمه علماء المسلمين، ولا توجد هنا قرينة صحيحة صريحة تصرف هذا عن الظاهر، فيبقى عندئذٍ الحكم على ظاهره، وهو ما احتج به أهل السنة والجماعة.

٥- نِسبتك ما قلت إلى العرب، تحتاج إلى أدلة من كلامهم، واللغة لا تسعف ذلك.

٦- وعلى فرض قول العرب بهذا، فلا أرى أن هناك وجهاً للمعارضة بينه وبين استدلاله في الحديث، أو حمله على ظاهره، لكون هذه الشُّعب تدل على الإيمان، ودلالتها عليه تستوجب فعلها، وأنها مؤثرة فيه، وهو ما نقوله نحن أهل السنة.

٧- كذلك فعل هذه الأعمال إنما هو بسبب الإيمان، فلا منافاة بين كلام العرب، وبين ما ذهب إليه أهل السنة ومن وافقهم، فدل ذلك على دخول الأعمال في الإيمان، وأن تركها يقدح فيه نقصاً أو خروجاً، حسب ذلك الترك أو الفعل للمعصية.

وعلى كل حال، فالقضية قضية تأصيل ومنهج، يُسار عليه في التلقي أولاً، ثم في الاستدلال، وما هذه المسألة إلا من فروعها التطبيقية، وإلا فمجالها واسع في العقيدة في صفات الله وأفعاله، وفي قضائه وقدره وإرادته، وفي مسائل الإيمان...الخ.

هذا والله تعالى أعلم.

المبحث الثالث: هل الخلاف بين أهل السنة ومرجئة الفقهاء لفظي؟!!.

وهو هل الخلاف بين أهل السنة والجماعة ومرجئة الفقهاء لفظي؟![١].

- فإن الإمام أبا حنيفة وأصحابه[٢] لم يُدخلوا العمل في الإيمان، لكنهم أوجبوه، وأما أهل السنة والجماعة، فإنهم أدخلوا العمل في مسمّى الإيمان، وأوجبوا كذلك العمل.

وقد اتفق أبو حنيفة وأصحابه مع أهل السنة والجماعة في مسألة «**الوعيد المجمل**» وهو وجوب دخول أحد العُصاة النار من غير تخليد فيها، ولكنهم لا يحددون صاحب معصية بعينه.

وقد خالف أبو حنيفة رحمه الله المرجئة في الوعيد المجمل؛ لأنهم لا يقطعون به.

- كما اتفقوا على أن مرتكب الكبيرة لا يخرج من الإيمان، بل هو داخل في مشيئة الله سبحانه وتعالى، إن شاء عذّبه، وإن شاء غفر له. وعلى ذلك إذا دخل مرتكب الذنب النار وهو موحد، فإنه لا يخلد فيها.

---

(١) وهذه المسألة نقلها ابن أبي العز الحنفي شارح الطحاوية (٧٢١هـ - ٧٩٢هـ) في الشرح ص ٣٣٣-٣٣٧ عن شيخ الإسلام ابن تيمية.

(٢) المقصود بأصحابه - رحمه الله - الذين قالوا بقوله في الإيمان من أهل السنة والجماعة ولم أقصد أصحابه في المذهب من الفقهاء؛ لأن منهم من خالفه، وكان مع جمهور أهل السنة، وهم من أصحابه، لم يحيدوا عن الحق اتباعاً للهدى.

- أما قول أبي جعفر الطحاوي[1] في عقيدته [وأهله في أصله سواء] أي في أصل الإيمان، فهو رحمه الله جعل الناس - المسلمين - متساوين في أصل الإيمان، وذلك بناءاً على قوله في عدم دخول الأعمال في الإيمان.

وقد حاول الشارح رحمه الله أن يلتمس التوفيق في هذا القول مع عقيدة الجمهور من السلف، يقول: «مستوون في أنهم عقلاء وغير مجانين، وبعضهم أعقل من بعض، وكذلك في الإيجاب والتحريم». وهذا فيه من التعسف ما فيه، وليس المقام مقام المناقشة. والصواب خلاف ما قالاه عفا الله عنهما.

إذ الناس مختلفون في أصول الإيمان، كما هم متفاوتون فيه؛ ولنصر هذا اختلافهم حول تعريفه وكثير من مسائله.

ومما يدل كذلك على تفاوت الناس في أصل الإيمان، تفاوتهم في عبورهم الصراط يوم القيامة كلٌّ بحسب إيمانه وعمله.

لما في الصحيحين عن أبي هريرة ﷺ وهو حديث الشفاعة وفيه:

---

(١) هو أحمد بن محمد الأزدي الطحاوي، نسبة إلى قرية في صعيد مصر. الفقيه المحدث الحافظ ولد ٣٢٩هـ بمصر وتوفي فيها ٣٢١هـ، أخذ العلم عن جمع من العلماء منهم خاله الإمام المزني - صاحب الشافعي - لكنه مال إلى مذهب أبي حنيفة؛ لأن خاله كان يأخذ من كتبهم، أثنى عليه العلماء كالذهبي وابن كثير، وقال: هو أحد الثقات والحفاظ الجهابذة. اهـ. له عدة مصنفات كـ«العقيدة الطحاوية» و«معاني الآثار» و«أحكام القرآن» و «الرد على أبي عبيد وعيسى بن أبان» و«مشكل الآثار». انظر مقدمة شرح الطحاوية.

«ويضـرب الصراط بين ظهري جهنـم، فأكون أنا وأمتي أول من يجيزها، ولا يتكلم يومئذ إلا الرسـل، ودعوة الرسـل يومئذ: اللهم سـلم سلم، وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعدان... تخطف الناس بأعمالهم، فمنهم المؤمن يبقى بعمله، أو الموبق بعمله، أو الموثق بعمله، ومنهم المخردل أو المجازى ...» الحديث[١].

● أما عن قول الشـارح: «والخلاف الذي بين أبي حنيفة والأئمة الباقين من أهل السنة اختلاف صوري!!!».

فهذا يحتمل وجهين، اختلفت القرائن والأدلة في إثبات أحدهما، وهما:

أ - أنـه قصـد بذلك عـدم ترتب على قـول أبي حنيفـة في عدم وجوب العمل في مسمى الإيمان إلى فساد اعتقاد. كقول الخوارج في تخليد صاحب الذنب في النار. أو قول غُلاة المرجئة الذين لا يوجبون العمل، ويعتقدون أنه لا تضر مع الإيمان معصية، على النقيض من قول الخوارج.

إذا كان هـو القصد - وقد صرح به الشـارح، وقـال: إنه القصد[٢]- فإن القول بأن النّزاع لفظي أو صوري وجيه.

ب - الوجه الآخر إذا ترتب على قول أبي حنيفة وصحبه أمور منها:

---

(١) رواه البخـاري ٦/ ٢٧٠٤ رقـم ٧٠٠٠، كتـاب التوحيد، باب قولـه ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ﴾ الآيـة واللفظ له. ورواه مسـلم ١/ ١٦٣، كتـاب الإيمان، باب معرفة طريـق الرؤية برقم ١٨٢.

(٢) انظر «الطحاوية» ص ٣٣٣.

١- تساوي الناس في أصل الإيمان، وأن الأعمال لا أثر لها.

٢- أو اعتقاد بعضهم أنه كامل الإيمان، وأن إيمانه كإيمان الأنبياء، أو الملائكة عليهم السلام، أو قال: إيماني كإيمان أبي بكر وعمر.

٣- أو اعتقد عدم زيادة الإيمان ونقصانه، مع دلالة النصوص على خلاف ذلك.

٤- أو اعتقد تحريم الاستثناء في الإيمان، مع دلالة النصوص على جوازه في غير الشك، فإن الخلاف بين مرجئة الفقهاء والسلف ليس بلفظي؛ بل حقيقي أصلي؛ لوجود تلك العقائد، أو بعضها، البعيدة عن مذهب جمهور أهل السنة والجماعة.

هذا وقد ظن بعض العلماء أن النزاع بين جمهور أهل السنة، ومرجئة الفقهاء، وهو المشهور عن الإمام أبي حنيفة وحماد بن أبي سليمان وأتباعهما، وهم الذين يقال لهم: مرجئة الفقهاء أو مرجئة الكوفة أو مرجئة العراق، اختلاف صوري لفظي، كما ذكره شارح الطحاوية فيها، وقبله أبو حامد الغزالي[١]، وهذا القول فيه وجه حق سيأتي إن شاء الله.

في حين يرى البعض أن الاختلاف حقيقي، وليس لفظياً كما قال به الألوسي محمود وعبيد الله المباركفوري[٢] وغيرهما، وهذا أيضاً له وجهه.

---

(١) انظر «شرح الطحاوية» في موضعين أكد فيه ابن أبي العز على ذلك (٤٦٢، ٤٧٠)، وانظر «سير أعلام النبلاء»، و «تفسير روح المعاني» ٩/ ١٦٧.

(٢) في روح المعاني (٩/ ١٧٦). ومرقاة المفاتيح للمباركفوري (١/ ٣٧).

• وقد حقق شيخ الإسلام ابن تيمية الخلاف ههنا، فجمع بين القولين، فجعله نزاعـاً لفظيـاً في كثير من مسائله، وحقيقيّـاً مؤثراً في بعض منها.

حيـث قـال رحمه الله في شـرح الأصفهانيـة: «.. وإنما المقصـود أن فقهاء المرجئة خلافهم مع الجماعة خلاف يسير، وبعضه لفظي، ولم يُعرف بين الأئمة المشـهورين بالفتيا خلاف إلا في هذا، فإن ذلك قول طائفة من فقهاء الكوفيين، كحماد بن أبي سليمان، وصاحبه أبي حنيفة، وأصحاب أبي حنيفة»[1].

وحصر هذا النزاع في موطن آخر بكونه من بدع الأقوال والأفعال، لا بدع العقائد، فقال في الإيمان: «.. إنه لم يكفر أحد من السلف مرجئة الفقهاء، بل جعلـوا هذا من بدع الأقـوال والأفعال، لا بدع العقائد، فـإن كثيراً من النزاع فيها لفظيٌّ، لكن اللفظ المطابق للكتاب والسنة هو الصواب» اهـ[2].

وقـال في الإيمان الأوسـط: «فصل: ثـم بعد ذلك تنازع الناس في اسـم المؤمـن والإيمان نزاعـاً كثيراً منه لفظيٌّ، وكثير منه معنوي. فإن أئمة الفقهاء لـم ينازعوا في شـيء مما ذكرناه من الأحـكام، وإن كان بعضهم أعلم بالدين وأقوم به من بعض، ولكن تنازعوا في الأسماء..» اهـ[3].

هـذا وقـد حدد الشـيخ جوانب النـزاع اللفظي بين أهل السـنة ومرجئة الفقهاء في بعض الصور، لما قال في كتابه الإيمان: «ومما ينبغي أن يُعرف؛ أن

---

(١) شرح الأصفهانية (١٤٣).

(٢) من الإيمان ص (٣٣٧).

(٣) الإيمان الأوسط (٧/ ٥٤٠-٥٠٥) ضمن الفتاوى.

أكثر التنازع بين أهل السنة في هذه المسألة هو نزاع لفظي. وإلا فالقائلون بأن الإيمان قول من الفقهاء كحماد بن أبي سليمان، وهو أول من قال ذلك، ومن اتبعه من أهل الكوفة وغيرهم، متفقون مع جميع علماء السنة:

- على أن أصحاب الذنوب داخلون تحت الذم والوعيد، وإن قالوا: إن إيمانهم كامل كإيمان جبريل، فهم يقولون: إن الإيمان بدون العمل المفروض، ومع فعل المحرمات، يكون صاحبه مستحقاً للذم والعقاب، كما تقوله الجماعة.

- ويقولون أيضاَ: بأن من أهل الكبائر من يدخل النار، كما تقوله الجماعة.

- والذين ينفون عن الفاسق اسم الإيمان من أهل السنة، متفقون على أنه لا يخلد في النار.

فليس بين فقهاء الملة نزاع في أصحاب الذنوب، إذا كانوا مقرين باطناً وظاهراً بما جاء به الرسول ﷺ، وما تواتر عنه أنهم من أهل الوعيد، وأنه يدخل النار منهم من أخبر الله ورسوله بدخوله إليها، ولا يُخلد منهم فيها أحد، ولا يكونون مرتدين مباحي الدماء»اهـ[1].

ولذا فإنك تجد كتب الفقه عند مرجئة الفقهاء مليئة بتقرير الأحكام العملية، وترتيب الجزاءات عليها، وهذا مما يستصحب كون النزاع معهم لفظياً؛ إذ لو كان العمل غير واجب، لما قرَّروه هذا التقرير في كتب فروعهم، التي هي من أخصب المذاهب الفقهية بسطاً لتلك المسائل.

---

(١) من كتاب الإيمان (٢٨١-٢٨٢)، وانظر المجموع نفسه (٧/ ٢٩٧).

ولكن من نظر إلى بعض المسائل المترتبة على الخلاف مع مرجئة الفقهاء:

- مسائل زيادة الإيمان ونقصانه.
- واستواء الناس في أصل الإيمان.
- وتحريم الاستثناء في الإيمان مطلقاً، كما تقول مرجئة الفقهاء، يكون الخلاف والحالة هذه حقيقياً[(١)].

فصح من ذلك أن التحقيق في الخلاف بين أهل السنة والجماعة وبين مرجئة الفقهاء، في أنواع صوره: فمنه ما هو خلاف لفظي وصوري كالاختلاف في الأعمال، ودخولها في مسمى الإيمان؛ إذ الجميع يوجبها، ويرتب الوعيد على تاركها، ويجعله مستحقاً للعقاب، مع القول بعدم تخليد أصحاب الذنوب في النار، وتحقق الوعيد المجمل فيهم.

ومن نظر إلى المسائل الأخرى، وما تنتظم فيها، ويترتب عليها من البدع يقرُّ بحقيقة الخلاف.. والله أعلم.

الخاتمة:

- ذكرت كيف كان منهج السلف رحمهم الله في العقيدة، وفي أنهم كانوا يَرُدُّون ما تنازعوا إلى كتاب الله وسنة رسوله، ولم يكونوا يردون شيئاً منها؛ بل شعارهم ودثارهم التسليم والإذعان، والقبول والعمل. وكيف كان التزامهم بالأصلين الأصيلين، وأن البدع ما ظهرت إلا ببُعد الناس عن

(١) وانظر بحث مفهوم الإيمان عند السلف وغيرهم للعبد الفقير (١٠١-١٠٥).

الكتاب والسنة، واتباعهم الجهل والأهواء والمحدثات.

- ما أوردته من نقول عن جمع من أئمة الإسلام، كالإمام أحمد والآجري وابن عبد البر وشيخ الإسلام ابن تيمية رحمهم الله، تعتمد القواعد العامة لمنهج أهل السنة والجماعة في العقيدة، وخاصة باب الأسماء والصفات، وفي غيره.

- وما عرفناه عن طائفة الخوارج، وكيف كان خروجهم وقتالهم للصحابة رضي الله عنهم، وكيف كان مُروقهم من الدين، وما أخبر عنهم الرسول ﷺ وفضل مقاتلتهم وقتلهم. وعلمنا كيف كانوا من شدة العبادة والزهد والورع، وكيف استهواهم الشيطان.

- عرفنا كيف كان الاعتزال، وعن سببه، وكيف أثر سوء الأدب حيث أجاب واصل السائل قبل إذن الإمام الحسن البصري، فأدَّى به ذلك إلى بذر بذرة الابتداع في الإسلام. وعلمنا ما عليه فرق المعتزلة من ضلال وابتداع بعيدين عن منهج الله ورسوله ﷺ.

- ما كان من أول المرجئة، وكيف هو الإرجاء عند حسن بن محمد بن الحنفية رحمه الله، وأنه كان إرجاء على غير ما عليه المرجئة، ثم كيف حصل السقط في فكر المرجئة، وكيف وصل إليه الآن. وذكرت طوائف المرجئة الأربعة، وختمت الكلام عنهم بذكر آثار عن المصطفى ﷺ وأئمة السلف في ذمهم، والحث على تركهم، والابتعاد عن مذاهبهم ومخالطتهم، وكيف أنهم شرٌّ من الصابئة، وأنهم كالخوارج في الضلال، والآثار السيئة لمذهبهم.

- ثـم دخلنا في صلـب البحث، وذكـرت أركان الإيمـان، والأدلة على ذلك من الكتاب والسـنة، ثم ذكر عقيدة أهل السـنة في الإيمان مسـتندة إلى نصـوص من الكتاب والسـنة. ثـم ذكرنا أقـوال الطوائف السـبعة في تعريف الإيمان، وكان بذلك انتهاء الفصل الأول.
- وفي الفصل الثاني الكلام على مسـألة دخول العمل في الإيمان، وذكر أقـوال الناس، وكيف تبيـن أن الراجح أن الأعمال داخلـة في الإيمان، والرد عن اسـتدلالات المخالفين، وهذه المسألة كانت عمدة الخلاف، وعرضت المسـائل التالية لها محلا أعطاها قدرها من الاهتمـام. متناولاً عبارة محمد ابن أبي العز شـارح الطحاوية في كون الخلاف بين أبي حنيفة وأئمة السـلف رحمهـم الله لفظيـاً، وتصورنا ذلك، وذكرنـا مبررات تُبين مـن خلال كيف الخلاف هل هو لفظي أو حقيقي؟

هذا والله تعالى أعلم، فما أصبت، فمن توفيق الله تعالى لنا لا حول ولا قوة لنـا إلا بـه، وما حصل من خطأ وزلـل، فهذه صفة البشـر، وانحصرت العصمة في رسـل الله تعالـى وأنبيائه. وأخطأ من هو أعلم وأفضـل وأتقى لله منا، فكيف بنـا، ونحن أهـل المعاصي، وقد ركنا إلى الدنيا، وكسـلنا عـن تحصيل مراتب الآخرة. أسـأله سـبحانه أن يجعل علمنا حجة لنا، وشـاهداً لنا لا علينا، وزلفى مقربة إليه، وأن يعاملنا بعفوه ورحمته، وستره وتجاوزه، إنه سبحانه أهل التقوى والمغفرة. وصلى الله وسلم على عبده ورسوله محمد، والحمد لله أولاً وآخراً ظاهراً وباطنـاً وعلى كل حال، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.